

شبكة كتّاب الدعوة



عَدُّ العِتَادِ

لنفسه الشبهات

حول تسمية الجهاد



تأليف : مناصر الإسلام

جميع الحقوق محفوظة

عَدُّ العِتَادِ  
لنفسه الشبهات  
حول تسمية الجهاد

## تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

لازال أعداء هذا الدين الحنيف يلقون حوله الشبهات و يثيرون حوله الأكاذيب التي هو منها براء .

من هذه الأكاذيب : كذبة أن الإسلام دين إرهاب يحث المسلمين على قتل مخالفيهم في الدين و سفك دمائهم .

و للأسف الشديد كان للإعلام دوره في تشويه صورة الإسلام و إظهاره بمظهر الدين الذي يحث على العنف و القتل و الإرهاب لكل من خالف منهجه .

فكل من يرتدى جلباباً أبيض و يطلق لحيته ، يصبح إرهابياً و يقتل الآخرين من أصحاب الملل الأخرى .

لذا كان يتعين علينا للبحث بمصداقية في هذه النقطة أن ننظر في المنهج الذي أتى به الإسلام و الذي يسير عليه المسلمون ، هل هو فعلاً يحث على القتل و الإرهاب ، أم أنها دعاوى لا دليل عليها و أكاذيب تلقى حوله ؟

لننظر في حال الآيات المتحدثة في هذا الشأن التي تناولها أعداء الإسلام كدليل باطل على أن الإسلام يدعو المسلمين إلى قتل أصحاب الملل الأخرى .

و على هذه الآيات سيكون بحثنا في الأسطر التالية .

مناصر الإسلام

## شكر

شكرو وتقدير للأستاذ الفاضل والأخ العزيز

**أسد الدين**

مدير عام شبكة كلمة سواء الدعوية

جهده المبذول لتصميم هذا الكتاب ، والذي بفضل الله ، ثم بعد ذلك  
بفضله ، ظهر هذا الكتاب فى صورة نرجو أن تنال رضا القارئ .

شبكة كلمة سواء الدعوية

## آيات الجهاد في سورة البقرة

قال تعالى: {وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ فَإِنْ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ} البقرة 190.

193

قوله تعالى: {وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ} من هذه نجد أن الآية لم تنزل في جميع من هم على خلاف دين الإسلام، بل مخصصة في قوم بعينهم، فمن هم هؤلاء؟

قال القرطبي: قوله تعالى: {وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ} أي مكة. قال الطبري: الخطاب للمهاجرين، والضمير لكفار قريش [1].

قال ابن كثير: قوله تعالى: {وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ} أي: لتكن همتمكم منبعثة على قتالهم، كما أن همتهم منبعثة على قتالكم، وعلى إخراجهم من بلادهم التي أخرجوكم منها، قصاصاً [2].

ذلك أن المشركين أول أمر الإسلام والهجرة إلى المدينة لم يدعوا أحداً يخرج من مكة بماله، بل يخرج ويترك أمواله وتجارته لهم، فهل عودة المسلمين لديارهم لأخذ ما سلب منهم أصبح أمراً مشيناً؟

[2] تفسير ابن كثير (1/ 524)

[1] الجامع لأحكام القرآن (2/ 351)

هاجر صهيب بن سنان الرومي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما أراد الهجرة قال له كفار قريش: أتيتنا صعلوكًا حقيرًا، فكثرت مالك عندنا، وبلغت الذي بلغت، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك؟ والله لا يكون ذلك. فقال لهم صهيب: رأيتم إن جعلت لكم مالى أتخلون سبيلى؟ قالوا: نعم، قال: فأني قد جعلت لكم مالى، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "ريح صهيب، ريح صهيب"<sup>[1]</sup>

ديننا دين عزة ، لا نسكت عن حقوقنا المسلمية.

قال تعالى : { **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ** }

الآيات هنا متصلة والحديث هنا متواصل عن أهل مكة الذين أخرجوا المسلمين من ديارهم دون أموالهم وتجارتهم.

قوله تعالى : { **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ** } ذلك أن الكفر الموجود هو فتنة عظيمة على المسلمين لإزدياد تعذيب المشركين والخشية على المسلمين من هذا التعذيب أن يفتنوا فى دينهم ، مثل ما حدث مع عمار بن ياسر رضى الله عنه. أخذ المشركون عمار بن ياسر فلم يتركوه حتى سب النبي صلى الله عليه وسلم وذكر آلهتهم بخير ثم تركوه فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما وراءك ؟ قال : شريا رسول الله ما تركت حتى نلت منك وذكرت آلهتهم بخير قال : كيف تجد قلبك ؟ قال مطمئنا بالإيمان قال : إن عادوا فعد<sup>[2]</sup>

قال ابن كثير : ولما كان الجهاد فيه إزهاق النفوس وقتل الرجال، نبه تعالى على أن ما هم مقيمون عليه من الكفر بالله والشرك به والصد عن سبيله أبلغ وأشد وأعظم وأطم من القتل؛ ولهذا قال : { **وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ** } قال أبو مالك: أي: ما أنتم مقيمون عليه أكبر من القتل<sup>[3]</sup>، وقال فى : قوله تعالى : { **وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ** } أى يكون دين الله هو الظاهر العالى على كل الأديان<sup>[4]</sup>

[1] فقه السيرة للألبانى رقم 157 وقال الألبانى صحيح [2] إرشاد الفقيه ( 2 / 295 ) قال ابن كثير : إسناده صحيح

[4] المصدر السابق

[3] تفسير ابن كثير ( 1 / 525 )

و حجه في ذلك ما روى في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري ، قال : **سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ، ويقا تل حمية ، ويقا تل رياء ، أي ذلك في سبيل الله؟ فقال: "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله"** [1]

قال تعالى : { **كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ** يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يِزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَزِدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتِطَاعُوا وَمَنْ يَزِدِدْ مِّنْكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } البقرة 217 - 216

قوله تعالى : { **كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ** } يلاحظ هنا أن الله قال القتال ، والقتال إما أنك قاتل وإما أنك مقتول وليس كل قتال تكون أنت فيه المنتصر القاتل.

لسان العرب باب (ق) مادة (قتل) :-

**المقاتلة: القتال؛ وقد قاتله قتالا وقيتالا، وهو من كلام العرب، وكذلك المقاتل؛**

**قال كعب بن مالك: أقاتل حتى لا أرى لي مقاتلا، وأنجو إذا عم الجبان من**

**الكذب.** [2]

من هنا يتضح أن القتال يكون معركة بين إثنين وليس هجوم إعتداء.

قوله تعالى : { **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يِزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَزِدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتِطَاعُوا وَمَنْ يَزِدِدْ مِّنْكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** } البقرة 217

[2] لسان العرب (11/552)

[1] صحيح البخاري برقم (2810 ، 3126) وصحيح مسلم برقم (1904)

من العجب أن أجد من يعترض على هذه الآية فما هي إلا تحريم من الله للقتال في الشهر الحرام ، وتبيان لغرض المشركين والكفار ومن ولاهم في قتال المسلمين وهو قوله تعالى : **{وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَزِدَّوَكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا}**

في الأصل لا توجد أي شبهة في الآية لنسفها .

قال تعالى : **{وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}** البقرة 244 .

بعد ما سبق من توضيحات من أن القتال لا يكون إعتداء إنما يكون لرد إعتداء ، وما سبق من توضيح القاعدة الإسلامية في الجهاد ، فإنه لا إعتراض على مثل هذه الآية .

فهى أمر من الله أن يكون الجهاد في سبيله - أى إخلاص نية لله - ليس جهادا

لمكانة ولا لشرف ولا لدنيا ، كما جاء في الصحيحين : **سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ، ويقاتل حمية ، ويقاتل رياء ، أى ذلك في سبيل الله؟ فقال: " من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله "** <sup>1</sup>

<sup>1</sup> سبق تخريجه

## آيات الجهاد في سورة النساء

قال تعالى : {فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا} النساء74

بعد أن وضحنا سبب القتال في الإسلام وأنه دفاعاً عن النفس وإزاحة للكفر حتى لا يفتن المسلمين في دينهم ، فلا إعتراض بعد ذلك على أي من آيات الجهاد في القرآن الكريم ، قوله تعالى : {فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ}

هنا توضيح شرط القتال : أن يكون في سبيل الله فقط ، و سبق أن قلنا أن القتال في سبيل الله هو إعلاء دين الله على باقي الأديان لجعله الظاهر عليها .  
سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ، ويقاتل حمية ، ويقاتل رياء ، أي ذلك في سبيل الله؟ فقال : " من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله " [1] وذلك حتى لا يفتن المسلمين في دينهم – كما سبق بيانه أيضاً من قصة عمار بن ياسر- فالمسلم لا يأذى غيره بسبب الدين و يحترم حقوق الآخرين في حرية العبادة ، قال تعالى : {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ} البقرة 256

قوله تعالى : {وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا}

هنا وعد ومجازاة من الله تعالى لمن يقاتل في سبيله – شرط أن يكون في سبيله – فإن قتل في سبيل الله فله أجر الآخرة بالجنة وإن غلب في سبيل الله فله الغنائم التي أحرزها في الحرب .

1: سبق تخريجه



قال القرطبي : قوله تعالى : {ومن يقاتل في سبيل الله} شرط {فيقتل أو يغلب}  
عطف عليه، والمجازاة {فسوف نؤتيه أجرا عظيما} . ومعنى {فيقتل}  
فيستشهد . {أو يغلب} يظفر فيغنم <sup>1</sup>

قال تعالى : {وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء  
والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك  
وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا} النساء 75 .

نجد دائما أن من يتحدث في آيات الجهاد في القرآن يقتطف الآيتين (74) و (76) ويسقط الآية (75) - سورة النساء - من حساباته رغم أن الآية موضحة لأحد أسباب القتال في سبيل الله في الإسلام ، لكن من ملأ الحقد قلبه ، فهذا دربه .

قوله تعالى : {وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله}

قال القرطبي : حض على الجهاد . وهو يتضمن تخليص المستضعفين من أيدي الكفرة المشركين الذين يسومونهم سوء العذاب، ويفتنونهم عن الدين، فأوجب تعالى الجهاد لإعلاء كلمته وإظهار دينه واستنقاذ المؤمنين الضعفاء من عباده، وإن كان في ذلك تلف النفوس . وتخليص الأسارى واجب على جماعة المسلمين إما بالقتال وإما بالأموال ، وذلك أوجب لكونها دون النفوس إذ هي أهون منها <sup>2</sup>

1: الجامع لأحكام القرآن (277/5)

2: المصدر السابق

قال تعالى : {الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل  
الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا} النساء76

هنا الحديث متصل عن قتال المشركين ، أى مشركين ؟ هم الذين سبقوا فى الآية  
رقم ( 75 ) الذين يستضعفون المسلمين ويعيثون فى الأرض الفساد ويفتنون  
المسلمين فى دينهم.

فهنا يثبت الله المؤمنين بأنهم هم أهل الحق الذين يقاتلون فى سبيله أما المشركين  
فيقاتلون لأجل أغراض الدنيا فمكرهم ومكر شيطانهم ضعيف لا يثبت أمام  
أهل الحق.

قال الطبرى : يقول الله مقويًا عزم المؤمنين به من أصحاب رسول الله صلى الله  
عليه وسلم، ومحرضهم على أعدائه وأعداء دينه من أهل الشرك به: { فقاتلوا }  
أيها المؤمنون ، { أولياء الشيطان } ، يعني بذلك : الذين يتولونه ويطيعون أمره ، فى  
خلاف طاعة الله ، والتكذيب به ، وينصرونه { إن كيد الشيطان كان ضعيفا  
{ ، يعني بكيده : ما كاد به المؤمنين، من تحزيبه أولياءه من الكفار بالله على  
رسوله وأوليائه أهل الإيمان فلا تهابوا أولياء الشيطان، فإنما هم حزبه وأنصاره ،  
وحزب الشيطان أهل وهن وضعف.

وإنما وصفهم جل ثناؤه بالضعف، لأنهم لا يقاتلون رجاء ثواب، ولا يتركون  
القتال خوف عقاب، وإنما يقاتلون حمية أو حسداً للمؤمنين على ما آتاهم الله من  
فضله. والمؤمنون يقاتل من قاتل منهم رجاء العظيم من ثواب الله، ويترك القتال إن  
تركه على خوف من وعيد الله فى تركه، فهو يقاتل على بصيرة بما له عند الله  
إن قتل، وبما له من الغنيمة والظفر إن سلم. والكافريقاتل على حذر من القتل،  
وإياس من معاد، فهو ذو ضعف وخوف<sup>1</sup>؛

1؛ جامع البيان فى تأويل القرآن (8/546، 547)

قال تعالى : {فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرّض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأسا وأشد تكيلا} النساء<sup>84</sup>  
 الآيات لا زالت تسير في إطار واحد ، وهو أمر من الله إلى نبيه - صلى الله عليه و سلم - بالقتال في سبيله بناء على ما تقدم من أن من يقاتل في سبيله له من الأجر العظيم فلأجل هذا الأجر فقاتل في سبيل الله.

يقول القرطبي : قوله تعالى: {فقاتل في سبيل الله} هذه الفاء متعلقة بقوله { ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما. فقاتل في سبيل الله } أي من أجل هذا فقاتل<sup>[1]</sup>

قوله تعالى : {وحرّض المؤمنين} أي حثهم على الجهاد في سبيل الله ، الذي هو دفع عدوان أو جعل دين الله هو الظاهر كي لا يفتن المسلم في دينه لأن المسلم يحترم دين غيره ، فمن هنا يأمن غير المسلم على دينه.

قوله تعالى : {عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأسا وأشد تكيلا} من هنا يتضح جليا أحد أسباب الجهاد في سبيل الله وهو لكف عدوان الذين كفروا عن المسلمين ، وليس إعتداء من المسلم على غيره وسبق أن قلنا أن أحوال المسلم مستمدة من الشريعة فكان لا بد من وجود مثل هذا الأمر في الشريعة ليعلم المسلم من طريق الدين - لأنه منهجه - أن من حقه الدفاع عن نفسه ضد من إعتدى عليه.

يقول ابن كثير : بتحريضك إياهم على القتال تنبعث همهم على مناجزة الأعداء، ومدافعتهم عن حوزة الإسلام وأهله ، ومقاومتهم ومصابرتهم<sup>[2]</sup>

1: الجامع لأحكام القرآن (5/292)

2: تفسير ابن كثير (2/368)

قال تعالى : { فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا  
 تريدون أن تهدوا من أضل الله ومن يضل الله فلا تتخذوا متهم أولياء حتى يهاجزوا في سبيل الله  
 كما كفروا فتكوثون سواء فلا تتخذوا متهم أولياء حتى يهاجزوا في سبيل الله  
 فإن تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا متهم وليا ولا نصيرا إلا  
 الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق أو جاءوكم حصرت صدورهم أن  
 يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم فإن  
 اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم  
 سبيلا } النساء 88-90.

يبدو من خلال الآية (88) أن الآيات نزلت في إختلاف المسلمين حول أمر بعض  
 المنافقين ، ولم تخص جميع من هم على خلاف الإسلام بالقتل ، بدليل قوله تعالى  
 { فلما تتخذوا متهم أولياء حتى يهاجزوا في سبيل الله } :  
 إذا الحديث عن فئة بعينها كانت أيام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وليس  
 حديث عام عن كل من هم على خلاف الإسلام ، لأنه - صلى الله عليه وسلم -  
 قال يوم فتح مكة " : لا هجرة، ولكن جهاد ونية " <sup>[1]</sup>

إذا الآيات تتحدث عن قوم معينين قبل فتح مكة ، وليس كل مخالف للإسلام.  
 فما هي قصة هؤلاء المنافقون ، وماذا فعلوا ليستحقوا القتل ؟

إن هؤلاء المنافقون قد فروا من الزحف يوم أحد ورجعوا وتركوا صفوف المسلمين.  
 عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى أحد ،  
 رجع ناس ممن خرج معه، وكان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فرقتين : فرقة  
 تقول : نقاتلهم ، وفرقة تقول : لا نقاتلهم. فنزلت : { فما لكم في المنافقين فئتين  
 والله أركسهم بما كسبوا } . وقال - صلى الله عليه وسلم - : " أنها طيبة، تنفي  
 الذنوب، كما تنفي النار خبث الفضة " <sup>[2]</sup>

11 صحيح البخارى (3017) 21 صحيح البخارى (1785)

فالفرار من الزحف إحدى الكبائر، فعن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "اجتنبوا السبع الموبقات"، قالوا: يا رسول الله، وما هن؟ قال: (الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات"<sup>1</sup>).

الفارون من الزحف قد يتسببون في هزيمة للجيش تدفع ثمنها الأمة بأكملها، لدخول العدو إلى أرض المسلمين زاهقا الأرواح والأنفس من الأبرياء من الأطفال و الشيوخ والنساء والرجال بدون ذنب.

فيكون الفار من الزحف قد تسبب في هذا القتل والتدمير لأهله وبلده. ويكون بمثابة المشترك في إزهاق هذه الأرواح، لفراره من الزحف تاركا خطوط جيشه مكشوفة للعدو متسببا في الهزيمة ودخول العدو إلى بلده ليعيث فيها الفساد من قتل للأبرياء.

ولذا كان الفار من الزحف مستوجب لغضب الله ومقته.

1- صحيح البخارى (6465)

## جاء في سورة المائدة:

قال تعالى : { **إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَوْ يُتَّقَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جِزَاءٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ** } المائدة 33

رغم أنها ليست من الآيات المتعلقة بالجهاد إلا أن بعض المتحدثين في موضوع الجهاد في الإسلام قد أوردتها بجهالة.

وبالرجوع إلى سبب نزول الآية أيضا نجد الآتي:-

عن أنس بن مالك أن نفرا من عكل قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم ، فاجتووا المدينة ، فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يأتوا إبل الصدقة ، فيشربوا من أبوالها وألبانها ، ففعلوا ، فقتلوا راعيها واستاقوها ، فبعث النبي صلى الله عليه وسلم في طلبهم ، قال : فأتي بهم ، فقطع أيديهم وأرجلهم ، وسمر أعينهم ، ولم يحسمهم ، وتركهم حتى ماتوا فأنزل الله عزولج { **إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ...** } الآية<sup>1</sup>

والحديث في صحيح البخارى عن أنس بن مالك أن ناسا من عكل وعرينة، قدموا المدينة على النبي صلى الله عليه وسلم وتكلموا بالإسلام، فقالوا: يا نبي الله ، إنا كنا أهل ضرع، ولم نكن أهل ريف ، واستوخموا المدينة ، فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بدود وراع، وأمرهم أن يخرجوا فيه فيشربوا من ألبانها وأبوالها، فانطلقوا حتى إذا كانوا ناحية الحرة كفروا بعد إسلامهم وقتلوا راعي النبي صلى الله عليه وسلم واستاقوا الذود، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فبعث الطلب في آثارهم، فأمر بهم فسمروا أعينهم، وقطعوا أيديهم، وتركوا في ناحية الحرة حتى ماتوا على حالهم. قال قتادة: بلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك كان يحث على الصدقة، وينهى عن المثلة. وقال شعبة أبان وحماد عن قتادة: من عرينة. وقال يحيى بن أبي كثير وأيوب عن أبي قلابة عن أنس: قدم نفر من عكل<sup>2</sup>

1. صحيح النسائي للألباني (4037)

2. صحيح البخارى رقم (3975)

فهؤلاء بعد أن أكرمهم النبي - صلى الله عليه وسلم - وأوجد لهم المسكن و  
المأكل والمشرب - كل أسباب الحياة - إجتمعوا على قتل الراعى وسرقة الإبل  
، فكان ذلك جزاء خيانتهم العهد ومحاربة الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم -  
ليكونوا عبرة لكل من تسول له نفسه فعل هذا ليشيع الأمن فى الأمة ، فقد  
سرقوا إبل الصدقة - أى من أموال المسلمين - وليس أموال النبي صلى الله عليه و  
سلم.

قد يسأل أحدهم **وكيف بالنبي - صلى الله عليه وسلم - أن يسمل أعينهم؟**  
والجواب هو ما قاله أنس بن مالك ، قال : **إنما سمل النبي صلى الله عليه وسلم  
أعين أولئك ، لأنهم سملوا أعين الرعاء** <sup>1</sup>

فكان ذلك قصاصا عادلا من النبي - صلى الله عليه وسلم - على فعلهم.

قال تعالى : { الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشُّهُرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتِ قِصَاصٌ فَمَنْ اعتدى عليكم  
فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين }  
البقرة 194.

1: صحيح مسلم رقم (1671)

## آيات الجهاد فى سورة الأنفال

قال تعالى : { يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ } الأنفال 1

ما هى الأنفال ؟ قال البخاري : قال ابن عباس الأنفال: المغانم<sup>1</sup>،

والغنائم فى الحرب حلال شرعا ، قال- صلى الله عليه وسلم : "فضلت على الأنبياء بست : أعطيت جوامع الكلم . ونصرت بالرعب . وأحلت لي الغنائم . وجعلت لي الأرض طهورا ومسجدا . وأرسلت إلى الخلق كافة . وختم بي النبيون"<sup>2</sup> .  
وعن ابن عمر، عن الرسول - صلى الله عليه وسلم :- "جعل رزقى تحت ظل رمحى، وجعل الذلّة والصغار على من خالف أمرى"<sup>3</sup>،

فالمقصود من الحديث هنا هو الإشارة إلى الغنائم فى الحرب. قال ابن حجر" : وفي الحديث إشارة إلى فضل الرمح وإلى حل الغنائم لهذه الأمة"<sup>4</sup>،

ما سبب نزول الآية ؟

عن سعيد بن جبیر قال : قلت لابن عباس رضي الله عنهما : سورة الأنفال، قال: نزلت في بدر<sup>5</sup>،

فماذا حدث بعد غزوة بدر لأجل ذلك ؟

1- صحيح البخارى ، كتاب : التفسير ، باب : قوله { يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا

ذات بينكم } 2- صحيح مسلم (523) 3- صحيح الجامع (2831) للألبانى

4- فتح البارى (98/6) 5- صحيح البخارى (4368)



(1) عن سعد بن أبي وقاص قال : أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم غنيمته عظيمة. فإذا فيها سيف فأخذه . فأتيت به الرسول صلى الله عليه وسلم. فقلت: نفلني هذا السيف. فأنا من قد علمت حاله. فقال "رده من حيث أخذه" فانطلقت. حتى إذا أردت أن ألقيه في القبض لامتنى نفسي، فرجعت إليه. فقلت: أعطنيه. قال فشد لي صوته "رده من حيث أخذه" قال فأنزل الله عز وجل : { يسألونك عن الأنفال }<sup>[1]</sup>

فما كان من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا أن أعطاه له. قال النووي : وقد روي في تمامه ما بينه من كلام النبي صلى الله عليه وسلم لسعد بعد نزول الآية: خذ سيفك إنك سألتنيه وليس لي ولا لك وقد جعله الله لي وجعلته لك.<sup>[2]</sup>

عن سعد بن أبي وقاص قال : لما كان يوم بدر قتل أخي عمير وقتلت سعيد بن العاص وأخذت سيفه وكان يسمى ذا الكتيبة فأتيت به نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: اذهب فاطرحه في القبض قال: فرجعت وبني ما لا يعلمه إلا الله من قتل أخي وأخذ سلمي قال: فما جاوزت إلا يسيرا حتى نزلت سورة الأنفال فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذهب فخذ سيفك<sup>[3]</sup>

(2) عن عبادة بن الصامت قال : خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهدت معه بدرا فالتقى الناس فهزم الله عز وجل العدو فانطلقت طائفة في آثارهم يهزمون ويقتلون وأكبت طائفة على العسكر يجرونه ويجمعونه وأحدقت طائفة برسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصيب العدو منه غرة حتى إذا كان الليل وفاء الناس بعضهم إلى بعض قال الذين جمعوا الغنائم نحن حويناها وجمعناها فليس لأحد فيها نصيب وقال الذين خرجوا في طلب العدو لستم بأحق بها منا نحن أحدقنا برسول الله صلى الله عليه وسلم وخفنا أن يصيب العدو منه غرة واشتغلنا به فنزلت { يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم }

<sup>3</sup>مسند أحمد (1556)

<sup>2</sup>المنهاج (53/12)

<sup>1</sup>اصحيح مسلم (1748)

فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم على فواق بين المسلمين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أغار في أرض العدو نفل الربع وإذا أقبل راجعا وكل الناس نفل الثلث وكان يكره الأنفال ويقول ليرد قوي المؤمنين على ضعيفهم<sup>1</sup> فبين سبحانه أن الحكم في قسمة الغنائم بين الجميع لله وللرسول وإياكم أن تخرجوا عن أمر الله فيها، واجعلوا بينكم وبين غضبه وقايتة. فلا تنازعوا ولا تختلفوا.

قال تعالى : { كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

لَكَارِهُِونَ } الأنفال 5

كما : تدل على تشبيهه حالة بحالة، فهم قد رضوا بقسمة الله في الغنائم بعد أن رفضوها، وكذلك قبلوا من قبل أن يخرجوا لملاقاة النضير بعد كراهيتهم لذلك لكنهم خرجوا وحاربوا وانتصروا ثم اختلفوا على الغنائم، ورضوا أخيرا بقسمة الله تعالى والرسول عليه الصلاة والسلام.

فهل ذكر مسألة كراهيتهم للخروج إلى الحرب هي طعن فيهم؟

من المعروف أنه في غزوة بدر لم يكن خروج المسلمين لملاقاة المشركين أو بقصد الحرب ، إنما بقصد العير التي خرجت من قريش ، وقلنا قبلا أن هذا ليس إعتداء على العير فالمشركين هم من بدؤا أول مرة بأخذ أموال المسلمين وتجاريتهم و إخراجهم من مكة دونما أموالهم ، فكان الخروج لملاقاتهم وأخذ ما سلب منهم أمرا مشروعا، عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال : لم أتخلف عن الرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاهما إلا في غزوة تبوك، غير أنني تخلفت عن غزوة بدر، ولم يعاتب أحد تخلف عنها، إنما خرج الرسول الله صلى الله عليه وسلم يريد عير قريش، حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير معاد.<sup>2</sup>

1. مجمع الزوائد للهيثمى (95/6) ، قال : رجاله ثقات . 2. صحيح البخارى (3735)

قال الشعراوي في رده على السؤال السابق : لا، فهذا القول له حيثية بشرية؛ لأن الذي يريد أن يخوض معركة لا بد أن يغلب عليه الظن بأنه سوف ينتصر، وإلا سينظر إلى أن عملية الخروج إلى القتال فيها مجازفة. وكان المسلمون في ذلك الوقت قليلي العدد، وليس معهم عدد، بل لم يكن لديهم من مراكب إلا فرسان اثنان. وكان خروجهم من أجل البضائع والعيير، لا لملاقاة جيش كبير، وهكذا لم تكن الكراهية لهذه المسألة نابعة من التأبي على أوامر الله تعالى، أو مطالب رسول الله عليه الصلاة والسلام، ولكنهم نظروا إلى المسألة كلها بالمقاييس البشرية فلم يجدوا فيها التوازن المحتمل.

ويريد الله أن يثبت لهم أنهم لو ذهبوا وانتصروا على العير فقط، لثقل عنهم إنهم جماعة من قطاع الطرق قد انقضوا على البضائع ونهبوها، فلم يكن مع العير إلا أربعون رجلاً، والمسلمون ثلاثمائة ويزيدون، ومن المعقول أن ينتصروا، ولكن ربنا أراد أن ينصرهم على النفير الذي استنفره الكفار من مكة، هذا النفير الضخم في العدد والعدة ويضم جهازة قريش وصناديدها، وتحقق إرادة الحق في أن يزهق الباطل.<sup>[1]</sup>

[1] خواطر الشعراوي (8/4581)

قال تعالى : { يجادلونك في الحق بعدما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم  
يتظنون وإذا يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات  
الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر  
الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون } الأنفال 6 : 8

قال الشعراوي : أي يجادلونك في مسألة الخروج لملاقاة النفي، بعد ما تبين لهم  
الوعد الحق من الله عز وجل وهو وعده سبحانه وتعالى بأن تكون لهم إحدى  
الطائفتين : طائفة العير ، أو النفي الضخم الذي جمعه قريش لملاقاتهم.  
وما دام الحق قد وعدكم إحدى الطائفتين، فلماذا لا تأخذون الوعد في أقوى  
الطوائف؟ لماذا تريدون الوعد في أضعف الطوائف؟! لقد وعدكم الحق سبحانه  
وتعالى أن إحدى الطائفتين ستكون لكم، فكان المنطق والعقل يؤكدان أنه  
ما دام قد وعدنا الله عز وجل إحدى الطائفتين ، فلنقدم إلى الأنفع للإسلام والحق  
الذي نحارب من أجله، وأن نواجه الطائفة ذات القوة والشوكة والمنعة ؛ لأنه قد  
يكون من الصحيح أن النصر مؤكد على طائفة العير لكن هذا النصر سيبقى  
من بعد ذلك مجرد نصريقال عنه إنه نصر لقطاع طريق، لا أهل قضية إيمان  
ودين . ولذلك يقول الحق تبارك وتعالى : { وإذا يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها  
لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق  
بكلماته ويقطع دابر الكافرين } فالمنطق إذا يفرض أن الله عز وجل ما دام قد  
وعد رسوله صلى الله عليه وسلم بإحدى الطائفتين، طائفة في عير والأخرى في  
نفي، كان المنطق يفرض إقبال المؤمنين على مواجهة الطائفة القوية ذات  
الشوكة والقوة ؛ لأن النصر على النفي هو أشرف من النصر على طائفة العير.<sup>1</sup>

1: خواطر الشعراوي (4583/8)

قوله تعالى : { وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ }

أي أن الله تعالى يريد أن ينصر الإسلام بقوة ضئيلة ضعيفة بغير عتاد على جيش قوى فيعرفون أن الله مؤيدهم، وبذلك يحق الحق بكلماته أي بوعده. وقد كان إنتصار المسلمين على المشركين في هذه الغزوة - غزوة بدر - وعددهم يومئذ قليل.

عن البراء قال : **كنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم نتحدث: أن عدة أصحاب بدر على عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر، ولم يجاوز معه إلا مؤمن، بضعة عشر وثلاثمائة.**<sup>[1]</sup>

وإنتصر المسلمون على المشركين في هذه الغزوة بهذا العدد الضئيل ، وما هذا إلا دليلا على أن المسلمين على الحق وغيرهم على الباطل ، إنتصر المسلمون و إستعادوا بعضا من حقوقهم المسلوبة لدى المشركين بالمغانم.

11 صحيح البخارى (3741)

قال تعالى : { إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبِّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُزْدَفِينَ وَمَا جَعَلَ اللَّهُ إِلَّا بَشْرِي وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ إِذْ يَبْعَثُكُمْ فِي الثَّغَايِ أُمَّةً مِّمَّةً وَيَنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مَتَهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ذَلِكَ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ } الأنفال 9 : 14 .

يستشهد دائما أعداء الإسلام بهذه الآية { إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مَتَهُمْ كُلَّ بَنَانٍ } مقتطفة دونما إظهار ما سبقها وما أتى بعدها من آيات للتدليل على ما يريدون أن تمتلىء به رؤوس العامة .

قال تعالى : { إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبِّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُزْدَفِينَ وَمَا جَعَلَ اللَّهُ إِلَّا بَشْرِي وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }

هنا إستجابة من الله سبحانه وتعالى لدعاء الرسول - صلى الله عليه وسلم - يوم بدر .

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : لما كان يوم بدر قال : نظر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى أصحابه وهم ثلثمائة ونيّف ونظر إلى المشركين فإذا هم ألف وزيادة فاستقبل النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم القبلة ثم مد يديه وعليه رداؤه وإزاره ثم قال : اللهم أين ما وعدتني ، اللهم أنجز لي ما وعدتني ، اللهم إنك إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام فلا تعبد في الأرض أبدا قال : فما زال يستغيث ربه عز وجل ويدعوه حتى سقط رداؤه ، فأتاه أبو بكر رضي الله عنه فأخذ رداؤه فرداه ثم التزمه من ورائه ثم قال : يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك وأنزل الله عز وجل : { إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبِّكُمْ فَاسْتَجَابَ

**لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين } ، فلما كان يومئذ والتقوا فهزم  
الله عز وجل المشركين<sup>[1]</sup>**

وما كان ذلك منه - صلى الله عليه وسلم - لقلّة عدد المسلمين - حاشا لله - فقد سبق وعد الله للرسول - صلى الله عليه وسلم - بإحدى الطائفتين .  
ولكن الدعاء قد يكون المقصود به محض التعبد كما في قوله تعالى : { **ربنا وآتانا ما وعدتنا على رسلك** } فإن إيتاء ذلك الشيء واجب ، ومع ذلك أمرنا بطلبه .  
كقوله تعالى : { **رب احكم بالحق** } مع أنا نعلم أنه لا يحكم إلا بالحق

قوله تعالى : { **وما جعله الله إلا بشري ولتطمئنن به قلوبكن وما أنزلنا من عند الله إن الله عزيز حكيم إذ يغشيكم الغمام منته وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عتكم رجز الشيطان وليزيط على قلوبكم ويثبت به الأقدام** }

من هنا يتضح أن إرسال الملائكة يوم بدر هو لتثبيت المسلمين - لأنهم أخضعوا المسألة للفكر البشري من حيث العدد والعتاد فوجدوا أن عددهم وعتادهم أقل بكثير من المشركين - لذا كانت البشري بإرسال الملائكة طمأنة لأفئدتهم ، فالله قادر على نصرهم على المشركين بدون الحاجة إلى ذلك ، فإياكم الإفتتان بالملائكة لذا قال سبحانه { **وما أنزلنا من عند الله إن الله عزيز حكيم** }

[1] صحيح أسباب النزول للوادعي (61) قال : رجاله رجال الصحيح .

قال ابن كثير : قوله تعالى : { وما جعله الله إلا بشئى ولتطمئن به قلوبكم وما التنصز إلا من عند الله } أي: وما جعل الله بعث الملائكة وإعلامه إياكم بهم إلا بشئى، { ولتطمئن به قلوبكم } ؛ وإلا فهو تعالى قادر على نصركم على أعدائكم بدون ذلك، ولهذا قال : { وما التنصز إلا من عند الله }<sup>[1]</sup>

قوله تعالى : { إذ يوحى ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألني في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب }

إذا علمت مما سبق من حال المسلمين و خروجهم للغير ثم جمع الله لهم بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد ليظهر المسلمين على أعدائهم ويؤيدهم بنصره ، ونظر المسلمون إلى حالهم فوجدوا أنهم أصحاب قلة في العدد والعتاد ، ثم البشئى من الله للمسلمين بإرسال الملائكة لتثبيتهم.

إذا علمت كل هذا ، أضف إلى ذلك أن الآية تخص مشركى مكة الذين إستولوا على أموال المسلمين و تجارتهم و بيوتهم و حرموهم منها . فلا إعتراض على هذا التأييد من الله للمسلمين و تثبيتهم و إلقاء الرعب فى نفوس عدوهم .

ولا أجد من يعترض على ذلك إلا حاقد ، فهل أصبح قتال المشركين - الذين لطالما أذوا المسلمين و سلبوا حقوقهم - أمرا يتهجم عليه ؟!

{ سألني في قلوب الذين كفروا الرعب } : هل هناك من يعترض على تأيد الله

للمسلمين بالنصر بإلقاء الرعب فى نفوس المشركين ؟! أليست حربا ؟! أم أننا

ذهبنا فى نزهة مع المشركين ؟! لذا قال - صلى الله عليه وسلم - : " فضلت على

الأنبياء بست : أعطيت جوامع الكلم . ونصرت بالرعب . وأحلت لي الغنائم .

وجعلت لي الأرض طهورا ومسجدا . وأرسلت إلى الخلق كافة . وختم بي النبيون

"<sup>[2]</sup>.

<sup>21</sup> سبق تخريجه

<sup>1</sup> تفسير ابن كثير (21/4)



إنها حرب ، وليست إعتداءً من المسلمين على كل كافر يمر بالطريق كما يحاول الحاقدون أن يملأوا بهذه الأكاذيب عقول العامة.

{**فاضربوا فوق الأعناق واضربوا متهم كل بنان**} : نعم ، هل نجد مُعترض هنا أيضا؟! لا يعترض إلا حاقد . فهذه حرب وهذا قتال . لكن الذى يود الحاقدون أن يعلموه لأتباعهم من خلال هذه الآية أن الإسلام يأمر بقتل كل كافر ليس على دينهم يمر فى أى طريق .

وهذا الكلام عار من الصحة من بعد ما تبين أن :

- (1) الآية نزلت فى أحوال غزوة بدر- أى فى حالة حرب وليس كل شخص عادى ، ليعلم المسلمون أن النصر من عند الله وليس بالعدد ولا العناد .
- (2) الآية نزلت فى مشركى قريش وقد كان سببه كما بان فى السابق و كما بان فى الآية التالية لها {**ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب**}

لكن لا نقول بأن هذا غير ممكن الحدوث الآن وكان خاص بمشركى قريش وحدهم دون سواهم ، لا ، فكلما إزداد إيماننا بالله و يقيننا فيه ، ينصرنا على كل من يعادينا ويظهرنا عليهم مع قلّة عتادنا وعدتنا .

وبالمناسبة قد يسأل أحدهم الآن **ولماذا لا ينصركم الله الآن على أعدائكم؟**

نقول ما قاله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن زينب بنت جحش قالت :  
 "استيقظ النبي صلى الله عليه وسلم من النوم محمرا وجهه يقول : ( لا إله إلا الله ، ويل للعرب من شر قد اقترب ، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه ) . وعقد سفيان تسعين أو مائة ، قيل : أنهلك وفينا الصالحون؟ قال : ( نعم ، إذا كثرت

الخبث) " 11

11 صحيح البخارى (7059)

وعن ثوبان قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : " **يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها . فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال : بل أنتم يومئذ كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن . فقال قائل : يا رسول الله ! وما الوهن ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت"<sup>[1]</sup>**

قال تعالى : { **يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ولينبلي المؤمنين مئة بلاء حسنا إن الله سميع عليم ذلكم وأن الله مؤمن كيند الكافرين** } الأنفال 15 - 18

قوله تعالى : { **يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار** } عرضنا لهذه النقطة قبلا - الفرار من الزحف - وقلنا أن الفرار من الزحف إحدى الكبائر ، وتجنبنا للتكرار لن نعيد الكلام في تلك النقطة مرة أخرى ، فقد سبق الكلام عليها .

قوله تعالى : { **ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير** }

يقول الشعراوي : **ونلاحظ أن الحق سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة لم يرتب الغضب منه إلا على من يولي الدبرهريا وفرارا من لقاء الأعداء . أما الذي يولي الدبر احتيالا ولايهام العدو بأنه ينسحب وفي ذات اللحظة يعاود الكرة على العدو مطوقا له ، فهذا هو المقاتل الحق والصادق في إيمانه الذي يمكر بالعدو . وكذلك من يولي الدبر متحيزا إلى فئة مؤمنة ليعاود معها الهجوم على الأعداء حتى لا تضيع منه حياته بلا ثمن ، فهذا أيضا من أعمال فكرة لينزل بالعدو والخسارة ؛ لأن المؤمن يحرص دائما على أن يكون موته بمقابل .<sup>[2]</sup>**

<sup>[2]</sup>خواطر الشعراوي (8/4611)

<sup>[1]</sup>سنن أبي داود (4297) قال الألباني : صحيح

قوله تعالى : { فَلَئِم تَقْتُلُوهُم وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُم وَمَا رَمَيْت إِذْ رَمَيْت وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ }  
هنا يستشهد أحد الحاقدين على الإسلام بهذه الآية الكريمة ليدلل على أن الله فى الإسلام يقتل الكافرين ويأمر المسلمين بقتلهم لأى سبب.

والرد على هذا من وجوه :-

(1) أن الحديث هنا مستمر ومتواصل عن قتال المشركين فى الحرب وليس كل كافر، بدليل قوله تعالى- فى الآية قبل السابقة : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمُ الْأُدْبَانَ }  
فهى حالة حرب والتى شرعها الله لنا لأسباب : دفاع عن الدين لا إعتداء على غير، إزاحة الكفرحتى لا يفتن المسلم فى دينه ، إظهار دين الله ، وقد سبق بيان كل هذا.

(2) يظن المستشهد بهذه الآية أن الله هو الذى يقتل وحمل المعنى على الحقيقة لا على المجاز ، وهذا خطأ ، ولدينا الأدلة على ذلك.

يقول الشعراوى : **وقول الحق تبارك تعالى : { فَلَئِم تَقْتُلُوهُم وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُم } مثل قوله تعالى فى آية أخرى: { وَمَا التَّنْزِيلَ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ } ولقائل أن يقول: إن الحق تبارك وتعالى قال فى موقع آخر: { قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ } التوبة.**

14.1

11خواطر الشعراوى (4616/8)

فكل هذا ما هو إلا تثبيت من الله للمسلمين بأنه معهم وأنه سينصرهم على عدوهم.

عن سلمة بن الأكوع قال : غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حيننا . فلما واجهنا العدو تقدمت . فأعلو ثنية . فاستقبلني رجل من العدو . فأمية بسهم . فتواري عني . فلما دريت ما صنع . ونظرت إلى القوم فإذا هم قد طلوعوا من ثنية أخرى . فالتقوا هم وصحابة النبي صلى الله عليه وسلم . فولى صحابة النبي صلى الله عليه وسلم . وأرجع منهزما . وعلى بردتان . متزرا بإحدهما . مرتديا بالأخرى . فاستطلق إزاري . فجمعتهما جميعا . ومررت ، على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منهزما . وهو على بغلته الشهباء . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( لقد رأى ابن الأكوع فزعا ) فلما غشوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل عن البغلة ، ثم قبض قبضة من تراب من الأرض . ثم استقبل به وجوههم . فقال ( شامت الوجوه ) فما خلف الله منهم إنسانا إلا ملأ عينيه ترابا ، بتلك القبضة . فولوا مدبرين . فهزمهم الله عز وجل . وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم غنائمهم بين المسلمين<sup>[1]</sup>

أى أن قبضة التراب التي رماها النبي - صلى الله عليه وسلم - في وجه أعداءه لم تدع أحدا من الأعداء إلا ملأت عينيه بأمر الله وإذنه . هذا هو المقصود ، نصرا وتأييدا من الله سبحانه وتعالى للمسلمين ، وليس كما تبادر في ذهن بعض الحاقدين من أن الله نفسه - حاشا لله - ينزل ليقتل ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، إنما أمره بين الكاف والنون .

1: صحيح مسلم (1777)

(3) دليل آخر على أن هذه حالة حرب و قتال قوله تعالى : {ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ

كَيْدِ الْكَافِرِينَ}

هنا يقول تعالى أنه مضعف كيد الكافرين- أى : حيلهم- مما يدل على الآن الأمر عبارة عن قتال و حرب ، تحاك فيها المكائد و المؤامرات التى يضعفها الله للمشركين.

قال الطبرى : قال أبو جعفر: يعني جل ثناؤه بقوله : {ذَلِكُمْ} ، هذا الفعل من قتل المشركين ورميهم حتى انهزموا ، وابتلاء المؤمنين البلاء الحسن بالظفر بهم، وإمكانهم من قتلهم وأسرههم {وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَيْدِ الْكَافِرِينَ} ، يقول: واعلموا أن الله مع ذلك مضعف {كيد الكافرين} ، يعنى: مكرهم ، حتى يذلولوا وينقادوا للحق ، أو يهلكوا.<sup>[1]</sup>

[1] جامع البيان فى تأويل القرآن (449/13)

قال تعالى : { **إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِي عَنْكُمْ فِئَتِكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ** }  
الأنفال 19.

إن هذه الآية تحتوي على دليل عظيم أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - هو ومن تبعه على الحق ، لكن المشركون ظلوا على عنادهم وكفرهم.

قوله تعالى : { **إِنْ تَسْتَفْتِحُوا** } : أى تطلبوا الفتح ، والكلام هنا موجه للفئتين : المسلمين والمشركين.

يقول الشعراوي : **وهنا في الآية الكريمة التي نحن بصدد خواطرنا عنها نجد أن الفتح يأتي بمعنى الحكم الذي يفصل بين المتنازعين، وهو صلب حكم يفصل بين فريقين، فريق الهدى والداعي إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتباعه من المؤمنين، وفريق الضلال وهم كفار قريش. وقد استفتح الفريقان .<sup>[1]</sup>**

فقد كان إستفتاح المسلمين هو دعوة النبي صلى الله عليه وسلم ، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : **لما كان يوم بدر قال : نظر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى أصحابه وهم ثلاثمائة ونيف ونظر إلى المشركين فإذا هم ألف وزيادة فاستقبل النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم القبلة ثم مد يديه وعليه رداؤه وإزاره ثم قال : اللهم أين ما وعدتني ، اللهم أنجز لي ما وعدتني ، اللهم إنك إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام فلا تعبد في الأرض أبدا قال : فما زال يستغيث ربه عز وجل ويدعوه حتى سقط رداؤه ، فأتاه أبو بكر رضي الله عنه فأخذ رداءه فرداه ثم التزمه من ورائه ثم قال : يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك وأنزل الله عز وجل : { **إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنْي ممدكم بألف من الملائكة مردفين** } ، فلما كان يومئذ والتقوا فهزم الله عز وجل المشركين<sup>[2]</sup>**

<sup>2</sup>سابق تخريجه

<sup>1</sup>خواطر الشعراوي (8/4624)

وكان إستفتاح المشركين هو دعوة لأبى جهل. فعن عبد الله بن ثعلبة بن صعير العذري قال : أن أبا جهل قال يوم بدر : اللهم أقطعنا للرحم وآتانا بما لا يعرف فأحنه الغداة ، قال : فكان ذلك استفتاحا منه<sup>1</sup>،

فكانت الإستجابة من الله للرسول - صلى الله عليه وسلم - ومن معه ونصرهم على عدوهم يوم بدر.  
فكان هذا أكبر دليل على صدق الرسول - صلى الله عليه وسلم - أن يؤيده الله بنصره هو ومن معه من فئة قليلة جدا على عدوهم صاحب العدد والعتاد .

---

1: أسباب النزول ت زغلول (1/238) / صحيح .

قوله تعالى : { وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلَّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } الأنفال 39.

بعض الحاقدين يضع هذه الآية كدليل على دعوة الإسلام إلى قتل الغير دائماً.  
لكن:

- هل عقل الآية أولاً ومعناها ؟

- هل عقل الفتنة وماذا تكون ؟

قطعاً لا .

قلنا قبلاً أن المشركين إزدادوا في تعذيب المسلمين حتى أن البعض من المسلمين من شدة التعذيب قد سب الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم -

أخذ المشركون عمار بن ياسر فلم يتركوه حتى سب النبي صلى الله عليه وسلم وذكر آلهتهم بخير ثم تركوه فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما وراءك ؟ قال : شرياً رسول الله ما تركت حتى نلت منك وذكرت آلهتهم بخير قال : كيف تجد قلبك ؟ قال مطمئناً بالإيمان قال : إن عادوا فعد<sup>1</sup>، فهذه هي الفتنة المقصودة ، فتنة المسلم في دينه.

ولمزيد من الإيضاح ، وبيان المقصود نطالع ما جاء في صحيح البخارى :

عن سعيد بن جبيرة قال : خرج علينا - أو : إلينا - ابن عمر ، رضي الله عنهما ، فقال رجل : كيف ترى في قتال الفتنة ؟ فقال : وهل تدري ما الفتنة ؟ كان محمد صلى الله عليه وسلم يقاتل المشركين ، وكان الدخول عليهم فتنة ، وليس بقتالكم على الملك.

<sup>2</sup>

<sup>2</sup> صحيح البخارى (4651)

<sup>1</sup> سبق تخريجه



عن ابن عمر : أن رجلا جاءه فقال: يا أبا عبد الرحمن، ألا تسمع ما ذكر الله في كتابه: { وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا } الآية الحجرات:9، فما يمنعك ألا تقاتل كما ذكر الله في كتابه؟ فقال: يا ابن أخي، أعير بهذه الآية ولا أقاتل، أحب إلي من أن أعير بالآية التي يقول الله، عز وجل: { وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا } الآية النساء:93، قال: فإن الله تعالى يقول: { وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ } ؟ قال ابن عمر: قد فعلنا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم إذ كان الإسلام قليلا وكان الرجل يفتن في دينه: إما أن يقتلوه، وإما أن يوثقوه، حتى كثر الإسلام فلم تكن فتنة<sup>1</sup>

بعد أن شاع الأمن وازداد المسلمون لم يعد في الأمر فتنة على المسلمين، فلا حاجة لقتال المشركين، لأن المشركين لن يتمكنوا بعد اليوم من تعذيب كل مسلم وفتنته في دينه.

وكلام ابن عمر هو الظاهر من الآية الكريمة لقوله تعالى: { فَإِنْ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ }

وهنا قد ينبرى أحد الحاقدين ليقول أن الإسلام ما أن وصل لغرضه بالانتشار كفوا عن قتال المشركين.

وهو بهذه الطريقة يدافع عن الإسلام ويثبت أن أتباعه يتبعون الحق وهو لا يشعر.

فنسأل نحن: هل قليل مستضعفون في الأرض كهؤلاء يخافون أن يفتنوا في دينهم، ينتصروا على كثير جداً من المشركين ويظهروا عليهم؟ هذا لا يكون أبداً إلا إن كانوا يتبعون الحق من الله الواحد الأحد الذي أيدهم بنصره وهم قليل وأظهرهم على من ساءلهم سوء العذاب.

1. صحيح البخارى (4650)

قال تعالى : { وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل تزهبون به عدو الله وعدوكم وأخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوفأ إليكم وأنتم لا تظلمون } الانفال 60 .

من العجيب هذه الأيام أننا نجد من يعترض على هذه الآية الكريمة. فكيف إذا تودون منا دخول الحروب؟ بدون قوة؟ بدون سلاح؟ نستيقظ من نومنا فنذهب للحرب دونما إعداد؟

قال ابن كثير : ثم أمرتعالى بإعداد آلات الحرب لمقاتلتهم حسب الطاقة والإمكان والاستطاعة، فقال : { وأعدوا لهم ما استطعتم } أي: مهما أمكنكم، { من قوة ومن رباط الخيل }<sup>[1]</sup>

أى أنها حالة حرب وليست إعتداء منا على أحد كما يود البعض إيهام أتباعه. بدليل الآية التالية لها مباشرة ، قال تعالى : { وإن جئخوا للسلم فاجتج لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم } الأنفال. فهذا الإعداد للحروب فقط وليس للإعتداء منا على أحد ، كما يتوهم البعض ، فلم الإعتراض على هذه الآيات الكريمة؟

وإذ أبطلنا هذه الشبهة نبطل أخرى أيضا وهى أن قوله تعالى { ما استطعتم من قوة } فكلمة قوة نكرة للشمول والعموم ، فتعنى أية قوة ، إذ يدعى بعض الجهال أن الله - حاشا لله - لم يعلم من آلات القتال سوى الخيل ولم يعلم الدبابات و الطائرات فى المستقبل ، لكن يدفع ذلك تنكير كلمة قوة والمعروف لدى أطفال الإعدادية أن النكرة تفيد الشمول والعموم.

1- تفسير ابن كثير (80/4)

قال تعالى : {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ} الأنفال 65.

هنا في هذه الآية الكريمة إنبرى أحد الحاقدين مدعيًا أن الإسلام دين قتل ودمار وإرهاب يحث على القتل و يحرض عليه وذلك بأنه لاحظ بداية الآية ولم يلحظ نهايتها ، كما أنه لا يعرف المعنى من الأساس . كل ما جاء في مخيلته هو هذه الجزئية {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ}

لكن ما معنى كلمة حرض ؟

لسان العرب باب (ح) مادة (حرض) :-

قال الجوهري : وتأويل التخريض في اللغة أن تحث الإنسان حثًا يعلم معه أنه حارض إن تخلف عنه ، قال: والحارض: الذي قد قارب الهلاك.<sup>11</sup>

مثال : أحرض أحدهم على المذاكرة ، لذا إن لم يذاكر يرسب .  
بالمثل : أحرض أحدهم على القتال ، لذا إن لم يقاتل يقتل .

من المعنى السابق يتبين أن المحرض هو موشك على الهلاك إن لم يفعل ما يحث عليه . مما يعطى دليلا على أن المقصود في الآية الكريمة بأن هناك ما يوشك المؤمنين على الهلاك على يده إن لم يقاتلوا ، فلا يدعوك للقتال إلا القتال . نخلص من هذا أن سياق الآية يتحدث عن حرب ، بل والأكثر من ذلك إعتداء من عدو على المسلمين ، وليس العكس .

11 لسان العرب (7/133)

من أمثلة هذا التحريض ما قاله - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه يوم بدر، حين أقبل المشركون في عددهم وعددهم:

قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض<sup>1</sup>. فقال عمير بن الحمام: عرضها السموات والأرض؟! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نعم" فقال: بخ بخ، فقال: "ما يحملك على قولك بخ بخ؟" قال رجاء أن أكون من أهلها! قال: "فإنك من أهلها" فتقدم الرجل فكسر جفن سيفه، وأخرج تمرات فجعل يأكل منهن، ثم ألقى بقيتهم من يده، وقال: لئن أنا حييت حتى آكلهن إنها حياة طويلة! ثم تقدم فقاتل حتى قتل، رضي الله عنه<sup>1</sup>.

فهذا هو التحريض المقصود، تحريض على مجاهدة العدو الذي أقبل لقتالنا وليس ما يظنه البعض من إعتدائنا على غيرنا وقتلهم.

بدليل قول الله في نفس الآية {إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا} إذا هي حالة قتال وحرب بين فريقين وليس إعتداء من المسلمين بقتل الغير كما يتوهم الحاقدون على الإسلام.

11 صحيح مسلم (1901)

## آيات الجهاد في سورة التوبة

قال تعالى : { فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخَذُوا حُرْمَتَهُمْ وَأَخْضِرُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ } التوبة 5.

هذه الآية عامة في جميع المشركين ، فيما عدا كل من : امرأة ، شيخ ، صبي ، أى كل مدنى غير مقاتل .

عن بريدة قال : **كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث سرية قال لهم لا تقتلوا وليدا ولا امرأة**<sup>[1]</sup>

عن بريدة قال : **كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث سرية يقول لا تقتلوا شيئا كبيرا**<sup>[2]</sup>

قال القرطبي : عام في كل مشرك ، لكن السنة خصت منه ما تقدم بيانه في سورة البقرة "من امرأة وراهب وصبي وغيرهم . وقال الله تعالى في أهل الكتاب : { حتى يغطوا الجزية } . إلا أنه يجوز أن يكون لفظ المشركين لا يتناول أهل الكتاب<sup>[3]</sup>

لكن هناك إطار للآية يجب أن تفهم من خلاله . قال تعالى : { وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ عَنِزٌ مُعْجِزٌ لِلَّهِ وَيَشْرُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابِ أَلِيمٍ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْتَقِصُواكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُنْظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مَدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخَذُوا حُرْمَتَهُمْ وَأَخْضِرُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ } التوبة 3 - 5.

1: شرح معاني الآثار (221/3) قال الطحاوى : صحيح

2: المصدر السابق (224/3) قال الطحاوى : صحيح

3: الجامع لأحكام القرآن (72/8)

فالأيات هنا توضح أن هناك عهد بين المسلمين والمشركين- أى حالة حرب تخللتها هدنة- ويأمر الله عزوجل أن يتم المسلمين العهد إلى نهايته وبعد ذلك تعد الحرب مرة ثانية، فمن عهده إلى أجل مطلق يصبح عهده أربعة أشهر ومن عهده إلى أجل يتم عهده إلى هذا الأجل.

قال ابن كثير: {إلا الذين عاهدتكم من المشركين ثم لم يتقنواكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم أحداً فاتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين} هذا استثناء من ضرب مدة التأجيل بأربعة أشهر، لمن له عهد مطلق ليس بمؤقت فأجله أربعة أشهر يسيح في الأرض يذهب فيها لينجو بنفسه حيث شاء، إلا من له عهد مؤقت، فأجله إلى مدته المضروبة التي عوهد عليها، وقد تقدمت الأحاديث (ومن كان له عهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فعده إلى مدته) وذلك بشرط ألا ينقض المعاهد عهده، ولم يظاهر على المسلمين أحداً، أي: يمالئ عليهم من سواهم، فهذا الذي يوفى له بدمته وعهده إلى مدته؛ ولهذا حرض الله تعالى على الوفاء بذلك فقال: {إن الله يحب المتقين} أي: الموفين بعهدهم.<sup>1</sup>

إذا الآية ليست دعوة لقتل غير المسلمين وكل من يخالف دين الإسلام كما يزعم الحاقدون

فلماذا أمر الله بإخراجهم من البلاد؟

(1) قال ابن كثير: قال ابن أبي نجيح، عن مجاهد: {براءة من الله ورسوله} إلى أهل العهد: خزاعة ومدلج، ومن كان له عهد أو غيرهم. أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك حين فرغ، فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحج، ثم قال: (إنما يحضر المشركون فيطوفون عذرة، فلا أحب أن أحج حتى لا يكون ذلك).<sup>2</sup>

فأرسل لهم- صلى الله عليه وسلم- من يأمرهم بعدم حضور الحج بعد هذا العام، و من يؤذن فيهم ببراءة، أى يعلمهم بالمهلة التى أعطاهم إياها الله للخروج من البلاد

<sup>2</sup> تفسير ابن كثير (4/103)

<sup>1</sup> تفسير ابن كثير (4/110)

عن أبي هريرة قال: بعثني أبو بكر، رضي الله عنه، في تلك الحجة في المؤذنين، بعثهم يوم النحر، يؤذنون بمنى: ألا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان. قال حميد: ثم أردف النبي صلى الله عليه وسلم بعلي بن أبي طالب، فأمره أن يؤذن ببراءة. قال أبو هريرة: فأذن معنا علي في أهل منى يوم النحر ببراءة وألا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان<sup>1</sup>.

فهؤلاء المشركون بلغ بهم فسادهم في البلاد أن يطوفوا بالبيت الحرام عرايا، فهل نوافق لهم على هذا الفساد والإفساد لغيرهم؟ فبعد المهلة هذه يبدء القتال والحرب مع من لم يخرج من البلاد

(2) كما أنه - صلى الله عليه وسلم - لم يقاتل إلا من قاتله فقط فالآيات التالية حتى الآية (13) توضح أسباب قتال هؤلاء المشركين.

قال تعالى: {أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُواكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}

فهؤلاء المشركون هم من بدء بالعدوان والقتال والهم بإخراج الرسول - صلى الله عليه وسلم - من مكة ونكث الأيمان بقتال حلفاء المسلمين.

قال ابن كثير: {قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم ويتصركم عليهم ويشنف صدور قوم مؤمنين وينذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليه حكيم}

<sup>1</sup>صحيح البخاري (4655)

وهذا أيضا تهيج وتحضيض وإغراء على قتال المشركين الناكثين لأيمانهم، الذين هموا بإخراج الرسول من مكة، كما قال تعالى: {وَإِذْ يَمَكُزِبُكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمَكُزُونَ وَيَمَكُزُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ الْمَاكِرِينَ} [الأنفال:30]

وقال تعالى: {يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُوْمِتُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي} [المتحنة:1] وقال تعالى: { وَإِنْ كَادُوا لِيَسْتَفْزِؤُوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبِثُونَ خِلاَفَكَ إِلَّا قَلِيلًا} [الإسراء:76] وقوله {وَهُمْ بَدَأُوكُمْ أُولَ مَرْجَةٍ} قيل: المراد بذلك يوم بدر، حين خرجوا لنصر عيرهم فلما نجت وعلموا بذلك استمروا على وجوههم طلبا للقتال، بغيا وتكبرا، كما تقدم بسط ذلك.

وقيل: المراد نقضهم العهد وقتالهم مع حلفائهم بني بكر لخزاعة أحلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى سار إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح، وكان ما كان، ولله الحمد. <sup>1</sup>

فالمسلمون لا يقاتلوا إلا من يقاتلهم فقط. قال تعالى: {وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يِقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} [البقرة]. وهؤلاء قاتلوا حلفاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهموا بإخراجه من مكة فكان ذلك جزاء لهم على فعلتهم.

1- تفسير ابن كثير (4/117)



وقد يعترض - من باب الإعتراض فحسب - أحدهم ليقول **كيف يغادرون بلادهم وديارهم؟ فنقول:**

إن هؤلاء أهل فساد مفسدون كما تبين لدرجة الطواف حول البيت الحرام عرايا. هم من بدء العدوان أول مرة بنكث أيمانهم وقتال حلفاء المسلمين واهم بإخراج الرسول - صلى الله عليه وسلم - من مكة . ثم إن الأمور في الماضي لم تكن كمثيلتها في الحاضر، ففي الماضي كان يستطيع الشخص الانتقال من مكان إلى آخر دونما جواز سفر أو خلافة مما يحد الحركة الآن ، ودون أى معوقات من البلد التي سيهاجر إليها .

كما أن المسلمين تركوا لهؤلاء المدة و أهملوهم للخروج من البلاد بأموالهم و تجارتهم و ليس كما فعلوا هم معهم في بداية الأمر من الإستيلاء على أموالهم .

كل هذه أمور توضح نبيل و كرم المسلمين في أنهم لم يعاملوا هؤلاء بالمثل ، و أنهم أهملوهم المدة للخروج لا أن يأخذوهم على غرة رغم أن هذا لا يعيب المسلمين في شيء بعد ما وضح من نكث هؤلاء لأيمانهم .

قال تعالى : { وَإِنْ نُكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهِمْ يَتْتَهِنُونَ أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نُكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَغُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَبْطِرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ } التوبة 12-14 .

بعض الحاقدين - إن لم يكن جميعهم - يضع الآيات الثلاث السابقة منفصلة عن بعضها و كأن كل منها ليس لها علاقة بالأخرى ، لكن هيئات أن ينالوا مرادهم في تلفيق تهمة القتل و الإرهاب إلى الإسلام .

فالأيات واضحة المعنى بقوله تعالى : { وَإِنْ نُكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ } أى أن الآيات تتحدث عن عهد بين المسلمين من ناحية و المشركين من ناحية أخرى .

ورغم كون الآية نزلت في المشركين زمن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كما في صحيح البخارى عن زيد بن وهب الجهني قال : **كنا عند حذيفة فقال: ما بقي من أصحاب هذه الآية إلا ثلاثة ، ولا من المنافقين إلا أربعة . فقال أعرابي: إنكم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم تخبروننا فلا ندري، فما بال هؤلاء**

الذين يبقرون بيوتنا، ويسرقون أعلاقنا؟ قال: أولئك الفساق، أجل، لم يبق منهم إلا أربعة، أحدهم شيخ كبير، لو شرب الماء البارد لما وجد برده

لكن الآية عامة، من حيث العمل بما جاء فيها من يوم الرسول - صلى الله عليه و سلم - إلى يومنا هذا، أيًا كان هؤلاء المشركين. أي أن: أي مشرك له عهد مع المسلمين يتم معه عهده إلى مدته لكن إن خالف المشرك العهد ونكثه فتعد الحرب عليه مرة ثانية.

قال ابن كثير: وإن نكث هؤلاء المشركون الذين عاهدتموهم على مدة معينة أيانهم، أي: عهودهم ومواثيقهم، { **وطعنتوا في دينكم** } أي: عابوه وانتقصوه. ومن ما هنا أخذ قتل من سب الرسول، صلوات الله وسلامه عليه، أو من طعن في دين الإسلام أو ذكره بتنقص؛ ولهذا قال: { **فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا إيمان لهم لعلهم ينتهون** } أي: يرجعون عما هم فيه من الكفر والعناد والضلال. وقال أيضا: والصحيح أن الآية عامة، وإن كان سبب نزولها مشرقي قريش فهي عامة لهم ولغيرهم، والله أعلم.

لكن يفهم من قوله عامة ما سبق بيانه من أن هناك عهد بيننا وبين غيرنا فإن نكثوا العهد قاتلناهم. أي لا إعتداء منا على أحد دون سبب كما يحاول الحاقدون إيهام أتباعهم، لا بل هناك سبب وهو سبب جلي وواضح من خلال سياق الآيات.

وكذلك قال القرطبي: قوله تعالى: { **فقاتلوا أئمة الكفر** }، { **أئمة** } جمع إمام، والمراد صناديد قريش - في قول بعض العلماء - كأبي جهل وعتبة وشيبة وأمية بن خلف. وهذا بعيد، فإن الآية في سورة "براءة" وحين نزلت وقرئت على الناس كان الله قد استأصل شأفة قريش فلم يبق إلا مسلم أو مسالم، فيحتمل أن يكون المراد { **فقاتلوا أئمة الكفر** } : أي من أقدم على نكث العهد والطعن في الدين يكون أصلا ورأسا في الكفر، فهو من أئمة الكفر على هذا. ويحتمل أن يعنى به المتقدمون والرؤساء منهم، وأن قتالهم قتال لأتباعهم وأنهم لا حرمة لهم.<sup>1</sup>

1- تفسير ابن كثير (116/4)

و بدون الحاجة إلى الخوض في كثير من التفاسير فالآيات موضحة بعضها بعضها و موضحة سبب قتال هؤلاء بقوله تعالى : { **أَلَا تَتَّقَاتِلُونَ قَوْمًا نُكِّثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَّعُوكُمْ أَوْلَ مَرَّةٍ اتَّخَشَوْنَهُمْ فَالَلَهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ** } ومن نكث الأيمان أيضا الطعن في الدين.

وقد يسأل أحدهم : **وهل الطعن في الدين ينقض العهد ويستوجب القتال ؟ و أين حرية الحوار ؟**

للإجابة على الشطر الأول من السؤال نقرأ ما قاله القرطبي : **لأن العمل بما يخالف العهد هو نقض للعهد**<sup>1</sup>

للإجابة على الشطر الثاني من السؤال نقول : على السائل أن يعي أولا معنى الطعن قبل أن يسأل هل هذا ضد الحوار أم لا . جاء في لسان العرب حرف ( ط ) مادة ( طعن )

**والطعنان بالقول؛ قال أبو زيد: وأبى المظهر العداوة إلا طعننا، وقول ما لا يقال**

**وفي الحديث: ( لا يكون المؤمن طعانا ) أي وقاعا في أعراض الناس بالذم والغيبة ونحوهما، وهو فعال من طعن فيه وعليه بالقول يطعن، بالفتح والضم، إذا عابه**<sup>2</sup>

إذا يتبين من هذه المعاني أن الطاعن في الدين ليس بالذى يريد حوارا ، لا بل الذى يتجرء على الدين ليقول عنه ما ليس فيه وقول ما لا يقال.

بل و أيضا الطاعن في الدين هو الذى يظهر العداوة لا الذى يظهر الحاجة إلى حوار.

<sup>2</sup> لسان العرب (13/265)

<sup>1</sup> الجامع لأحكام القرآن (8/84)

قال تعالى : { قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ } التوبة 29.

قال ابن كثير : فهم في نفس الأمر لما كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم لم يبق لهم إيمان صحيح بأحد من الرسل، ولا بما جاءوا به، وإنما يتبعون آراءهم وأهواءهم وآبائهم فيما هم فيه، لا لأنه شرع الله ودينه؛ لأنهم لو كانوا مؤمنين بما بأيديهم إيماناً صحيحاً لقادهم ذلك إلى الإيمان بمحمد، صلوات الله عليه، لأن جميع الأنبياء الأقدمين بشروا به، وأمروا باتباعه، فلما جاء وكفروا به، وهو أشرف الرسل، علم أنهم ليسوا متمسكين بشرع الأنبياء الأقدمين لأنه من عند الله، بل لحظوظهم وأهوائهم، فلماذا لا ينفعهم إيمانهم ببقية الأنبياء، وقد كفروا بسيدهم وأفضلهم وخاتمهم وأكملهم؛ ولهذا قال : { قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ }<sup>1</sup>

وقد كان أهل الكتاب- اليهود والنصارى - يعلمون أنه- صلى الله عليه وسلم - نبي من عند الله.

فأما اليهود فعن ثوبان مولى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : كنت قائماً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم . فجاء خبر من أحبار اليهود فقال : السلام عليك يا محمد ! فدفعته دفعة كاد يصرع منها . فقال : لم تدفعني ؟ فقلت : ألا تقول يا رسول الله ! فقال اليهودي : إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إن اسمي محمد الذي سماني به أهلي " فقال اليهودي : جئت أسألك . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم " أينفعك شيء إن حدثتكَ ؟ " قال : أسمع بأذني . فنكت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعود معه . فقال " سل " فقال اليهودي : أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " هم في الظلمة دون الجسر " قال : فمن أول الناس إجازة ؟ قال " فقراء المهاجرين " قال اليهودي : فما تحفتهم حين يدخلون الجنة ؟ قال " زيادة كبد النون " قال : فما غذاؤهم على إثرها ؟ قال " ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها " قال : فما شرابهم عليه ؟ قال " من عين فيها تسمى سلسيلاً "

1 تفسير ابن كثير (4/132)

قال : صدقت . قال : وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض . إلا نبي أو رجل أو رجلا ن . قال - ينفعك إن حدثتك ؟ - قال : أسمع بأذني . قال جئت أسألك عن الولد ؟ قال - ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر . فإذا اجتمعا ، فعلا مني الرجل مني المرأة ، أذكرا بإذن الله . وإذا علا مني المرأة مني الرجل ، أنثا بإذن الله " قال اليهودي : لقد صدقت . وإنك لنبي . ثم انصرف فذهب . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لقد سألتني هذا عن النبي سألتني عنه . وما لي علم بشيء منه . حتى أتاني الله به <sup>1</sup> :

وقد كان النصراني أيضا يعلمون أنه نبي ومن ذلك : التقاؤه بالراهب ، بحيرا الذي تفرس فيه ورأى معالم النبوة في وجهه وبين كتفيه ، فلما سأل أبا طالب : ما هذا الغلام منك ؟ قال : ابني ، قال : ما ينبغي أن يكون أبوه حيا ! قال : فإنه ابن أخي مات أبوه وأمه حبلى به . قال صدقت ، ارجع به إلى بلدك واحذر عليه يهود <sup>2</sup> :

وعن أبي سفيان بن حرب قال : أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش، وكانوا تجارا بالشأم، في المدة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ماد فيها أبا سفيان وكفار قريش، فأتوه وهم بإيلياء، فدعاهم في مجلسه، وحوله عظماء الروم، ثم دعاهم ودعا بترجمانه، فقال: أيكم أقرب نسبا بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقال أبو سفيان: فقلت أنا أقربهم نسبا، فقال: أدنوه مني، وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره، ثم قال لترجمانه: قل لهم إني سائل عن هذا الرجل، فإن كذبني فكذبوه، فوالله لولا الحياء من أن يأتروا علي كذبا لكذبت عنه . ثم كان أول ما سألتني عنه أن قال: كيف نسبه فيكم؟ قلت: هو فينا ذونسب. قال : فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟ قلت: لا. قال: فهل كان من آبائه من ملك؟ قلت: لا. قال : فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ قلت: بل ضعفاؤهم . قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قلت: بل يزيدون. قال: فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قلت: لا. قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا . قال: فهل يغدر؟ قلت: لا، ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها. قال : ولم تمكني كلمة أدخل فيها شيئا غير هذه الكلمة. قال: فهل قاتلتموه؟ قلت: نعم. قال: فكيف كان قتالكم إياه؟ قلت: الحرب بيننا وبينه سجال، ينال منا وننال منه. قال: ماذا يأمركم؟ قلت: يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا، واتركوا ما يقول آبائكم، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة

1- صحيح مسلم (315)

2- فقه السيرة للألباني (65) ، قال : صحيح

فقال للترجمان: قل له: سألتك عن نسبة فذكرت أنه فيكم ذو نسب، فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها. وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول، فذكرت أن لا، فقلت لو كان أحد قال هذا القول قبله، لقلت رجل يأتسي بقول قيل قبله . وسألتك هل كان من أبائه من ملك، فذكرت أن لا، قلت: فلو كان من أبائه من ملك، قلت رجل يطلب ملك أبيه. وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال، فذكرت أن لا، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله. وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم، فذكرت أن ضعفاؤهم اتبعوه، وهم أتباع الرسل، وسألتك أيزيدون أم ينقصون، فذكرت أنهم يزدون، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم. وسألتك أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه، فذكرت أن لا، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب. وسألتك هل يغدر، فذكرت أن لا، وكذلك الرسل لا تغدر. وسألتك بما يأمركم، فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، وينهاكم عن عبادة الأوثان، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف، فإن كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج، لم أكن أظن أنه منكم، فلو أنني أعلم أنني أخلص إليه، لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه. ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي بعث به دحية إلى عظيم بصرى، فدفعه إلى هرقل، فقرأه، فإذا فيه: ( بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم: سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين، و: {يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون} )

قال أبو سفيان: فلما قال ما قال، وفرغ من قراءة الكتاب، كثر عنده الصخب وارتفعت الأصوات وأخرجنا، فقلت لأصحابي حين أخرجنا: لقد أمر ابن أبي كبشة، إنه يخافه ملك بني الأصفر. فما زلت موقنا أنه سيظهر حتى أدخل الله علي الإسلام.

وكان ابن الناطور، صاحب إيلياء وهرقل، أسقفا على نصارى الشام، يحدث أن هرقل حين قدم إيلياء، أصبح يوما خبيث النفس، فقال بعض بطارفته: قد استنكرنا هيئتك، قال ابن الناطور: وكان هرقل حزاء ينظر في النجوم، فقال لهم حين سألوه: إني رأيت الليلة حين نظرت في النجوم ملك الختان قد ظهر، فمن يختن من هذه الأمة؟ قالوا: ليس يختن إلا اليهود، فلا يهمنك شأنهم، واكتب إلى

مداين ملكك، فيقتلوا من فيهم من اليهود، فبينما هم على أمرهم، أتى هرقل  
 برجل أرسل به ملك غسان يخبر عن خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما  
 استخبره هرقل قال: أذهبوا فانظروا أمختن هو أم لا؟ فنظروا إليه، فحدثوه أنه  
 مختن، وسأله عن العرب، فقال: هم يختنون، فقال هرقل: هذا ملك هذه الأمة قد  
 ظهر. ثم كتب هرقل إلى صاحب له برومية، وكان نظيره في العلم، وسار هرقل  
 إلى حمص، فلم يرم حمص حتى أتاه كتاب من صاحبه يوافق رأي هرقل على  
 خروج النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه نبي، فأذن هرقل لعظماء الروم في دسكرة  
 له بحمص، ثم أمر بأبوابها فغلقت، ثم اطلع فقال: يا معشر الروم، هل لكم في  
الفلاح والرشد، وأن يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبي؟ فحاصوا حيصة حمر  
 الوحش إلى الأبواب، فوجدوها قد غلقت، فلما رأى هرقل نصرتهم، وأيس من الإيمان،  
 قال: ردوهم علي، وقال: إني قلت مقالتي أنفا أختبر بها شدتكم على دينكم،  
 فقد رأيت، فسجدوا له ورضوا عنه، فكان ذلك آخر شأن هرقل.<sup>1</sup>

إذا قد رأينا أن كلا من اليهود والنصارى كانوا يعلمون أنه - صلى الله عليه و  
 سلم - رسول نبي من عند الله ورغم ذلك لم يؤمنوا به واتبعوا أهواءهم وأمانيتهم فلم  
 يبق إيمانهم في ذلك صحيحًا ، فلزم على المسلمين نشر الدعوة في الأمصار و  
 البلاد لتعريف الناس بالدين الحق وتنجيتهم من النار.  
 وقد كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يرسل الرسل بالرسائل إلى أهل  
 البلاد والأمصار ليعلموا بالإسلام وينجيهم من النار بعدما أخفى الأخبار والرهبان  
 حقيقة النبي - صلى الله عليه وسلم - عن أتباعهم وأنه مرسل من الله وأنه خاتم  
 النبيين وكتبوا ما في كتبهم ، فمن إستجاب منهم فيها ونعمتة ومن لم يستجب  
 وجب قتاله لتمكين المسلمون من نشر الدعوة.  
 كما جاء في الحديث السابق من صحيح البخارى فى رسالة الرسول - صلى الله  
 عليه وسلم - إلى هرقل قائلاً : **بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله**  
**إلى هرقل عظيم الروم : سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوك بدعاية**  
**الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين،**  
**و: {يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا**  
**نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا**  
**بأننا مسلمون}.**

1: صحيح البخارى (7)

قال النووي في المنهاج : في هذا الكتاب جمل من القواعد وأنواع من الفوائد منها :

دعاء الكفار إلى الإسلام قبل قتالهم وهذا الدعاء واجب والقتال قبله حرام إن لم تكن بلغتهم دعوة الإسلام وإن كانت بلغتهم فالدعاء مستحب هذا مذهبنا<sup>[1]</sup>.

وعلى ذلك يكون هذا القتال هو بمثابة إزاحة لقوى الكفر التي لا تريد للدعوة أن تصل إلى الناس و ألا يبلغ بها من لم يسمع عنها. بدليل إسلام النجاشي ملك الحبشة الذي كان على النصرانية ونشر الإسلام في الحبشة دون قتال.

فقد ثبت أن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه لما قرأ سورة {كهيعص} بحضرة النجاشي ملك الحبشة وعنده البطارقة والقساوسة بكى وبكوا معه حتى أخضبوا لحاهم<sup>[2]</sup>.

عن أبي هريرة قال : نعى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم النجاشي صاحب الحبشة ، اليوم الذي مات فيه ، فقال : استغفروا لأخيكم . وعنه رضي الله عنه قال : إن النبي صلى الله عليه وسلم صف بهم بالمصلى ، فكبر عليه أربعاً<sup>[3]</sup>.

فهذا ما يريده المسلمون ، نشر الدعوة و فقط أى أن يسمع بها من لم يسمع عنها ثم بعد ذلك فكل شخص حرفى تقرير مصيره كما قال تعالى : { لَا إِكْرَاهَ فِي الدين قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ } البقرة 256 .

وكان قتال أهل الكتاب يأتى كمرحلة أخيرة بعد عرض الإسلام ، فالجزية ، فالقتال.

عن بريدة بن الحصيب أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم كان إذا أمر أمير على جيش أو سرية ، أوصاه خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً . ثم قال : اغزوا باسم الله . وفي سبيل الله . قاتلوا من كفر بالله . اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا

<sup>[3]</sup>صحيح البخارى (1327)

<sup>[2]</sup>تفسير ابن كثير (2/168) قال : ثابت

<sup>[1]</sup>المنهاج (12/107)



**تمثلوا ولا تقتلوا وليدا . وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال . فأيتهم ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم .**

ثم ادعهم إلى الإسلام . فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم . ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين . وأخبرهم أنهم ، إن فعلوا ذلك ، فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين . فإن أبوا أن يتحولوا منها ، فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين . يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين . ولا يكون لهم في الغنيمتة والفيء شيء . إلا أن يجاهدوا مع المسلمين . فإن هم أبوا فسلهم الجزية . فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم . فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم . وإذا حاصرت أهل حصن ، فأرادوك أن تجعل لهم ذممة الله وذمة نبيه . فلا تجعل لهم ذممة الله وذمة نبيه . ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك . فإنكم ، أن تخفروا ذممكم وذمم أصحابكم ، أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله . وإذا حاصرت أهل حصن ، فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله ، فلا تنزلهم على حكم الله . ولكن أنزلهم على حكمك . فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا<sup>1</sup> .

والقتال هنا بغرض أن يسمع من لم تصل إليه دعوة الإسلام بالإسلام . وذلك بإزاحة قوى الكفر التي لا تريد للدعوة أن تصل إلى مسامع الناس ، كما سبق بيانه . وليس بغرض إجباره على الإسلام ، فهو يسمع بالدعوة ويتعرف عليها جيدا ثم بعد ذلك هو حرفي تقرير مصيره كما قال تعالى : **{ نأ إكزاه في**

**الدين قد تبين الرشد من الغي** } البقرة . 256

قال الشيخ عبد الرحمن الدمشقي : إن الجهاد بالقتال في سبيل الله كما هو واضح وصريح في كتاب الله المجيد ، وسنة رسوله صلوات الله عليه ، والفتوحات الإسلامية التي تمت في عهود الخلفاء الراشدين ومن تبعهم بإحسان ، له غايتان رئيستان .

1. صحيح مسلم (1731)

**الغاية الأولى :** الدفاع ، وهذا حق تتفق على شرعيته جميع الأمم والمذاهب والأديان ، فلا مجال للمناقشة فيه .

**الغاية الثانية :** القتال لتأمين الدعوة وللقيام بواجب تبليغ الحق الرباني إلى الناس كافة ، وإقامة العدل في الأرض ، والقتال للقيام بواجب التبليغ من الأمور التي اتفقت عليها الشرائع الربانية الثلاث ، المنزلة على موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام .

قال الله تعالى { **إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعِندَ اللَّهِ حَقُّهُ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بَيْنَكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** }

التوبة 111

وطالب موسى عليه السلام بني إسرائيل أن يدخلوا الأرض المقدسة فاتحين ، بعد أن أنجاهم الله من فرعون وجنوده ، وأغرق عدوه ، فأجابوه بقولهم : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ، وقص الله علينا قصتهم في ذلك .

فقال تعالى : { **وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أذكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَأَتَاكُمْ مَا لَمْ يَأْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَمَّا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ** قالوا يا موسى

**إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنُدْخِلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ** قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلا عليهما الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون { المائدة 20-24

في هذا النص بيان واضح أنهم كانوا مطالبين بالقتال لتحقيق الغاية الثانية وهي

القيام بواجب تبليغ الحق الرباني ، وفتح الأرض المقدسة وإزالة حكم الكفر ، وإقامة حكم شريعة الرب .

وهذا هو الحكم في الإسلام إلا أنه أصبح مسائرا للدعوة العالمية التي جاء بها الإسلام ، والتي ليست مهمتها قاصرة على حدود قومية .

فقد تدعو الضرورة إلى هذا النوع من القتال ، وذلك حينما يكون شعب أو طائفة من الناس مغلوبين على أمرهم ، محكومين بسلطة قاهرة ، تحجب عنهم كل حقيقة ، وتحرمه من ممارسة حق حريتهم فيما يعتقدون وفيما يعملون ، ولا تسمح للدعاة المسلمين أن يدخلوا إليهم ويبصرهم بالحق الذي يحملونه ، وأوجب الله عليهم تبليغه إلى الناس .

ولما كانت طبائع الحكم مهما كان نوعه تقاوم كل فكرة من شأنها أن تؤثر على نظامه ، فإن ضرورة التبليغ دعت الإسلام إلى اللجوء إلى قتال الحكومات التي لا تسمح لسلطان التبليغ الحر أن ينتشر بين رعاياها المغلوبة على أمرها .

وهذا هو معنى وقوف الجيوش الإسلامية على أبواب الممالك التي فتحتها عارضة عليها واحدا من ثلاثة أمور :

فإما أن تدخل هذه الحكومات في الإسلام ، وعندئذ تنتهي المشكلة ، إذ تصبح الدعوة الإسلامية حرة الانتشار . وإما أن يعطوا الجزية للمسلمين ، وهي مرتبة دون الأولى ، وهي تتضمن إعطاء الحرية التامة للدعوة الإسلامية الربانية أن تنتشر بين صفوف الشعب المكلف بدفع الجزية . وإما أن تناجز السلطة الحاكمة المسلمين القتال ، وهو أمر ألجأت إليه الضرورة ، والغرض منه تحقيق حرية انتشار الدعوة ، وإقامة العدل عن طريق حكومة إسلامية رشيدة .

أما الإكراه في الدين فلا مجال له بحال من الأحوال ، لأن أول أسس الدين عقيدة في القلوب ، ومحال أن تكره القلوب إكراها ماديا على أن تعتقد عقيدة ما ، وإعلان القرآن عن هذا فيه من الروعة ما يسكت كل لسان . قال تعالى : {

إِكْرَاهٍ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنَ بِاللَّهِ فَقَدْ  
اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ { البقرة 256.

ولا مجال بعد هذا البيان للاعتذار عن ركن الجهاد بالقتال في سبيل الله ، والقص  
من أطرافه ، وحصره في قتال الدفاع ، فقضيته قضية حق رباني ، وغايته من أشرف  
الغايات وأنبأها ، ولولا أن ألجأت إليه الضرورة في المجتمع الإنساني الظالم الآثم ،  
الذي يتحكم فيه الطغاة البغاة الجبابرة أصحاب الأهواء ، الذين يجعلون أنفسهم  
أربابا من دون الله ، لما كان له وجود في شرائع الله ، لأن أساسها قائم على القاعدة  
التالية : {فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر} ومن وراء ذلك الجزاء بالشواب أو  
بالعقاب يوم الدين.

## الجـزـيـة

نتحدث الآن عن الجزية لورودها في الآية السابقة.

قال ابن العثيمين : الجزية هي : ما يضعه ولاة الأمر كل عام على كل كافر تحت ذمة المسلمين عوضاً عن حمايته وإقامته بدار الإسلام.<sup>[1]</sup>

### على من تجب الجزية ؟

قال القرطبي : قال علماؤنا رحمة الله عليهم: والذي دل عليه القرآن أن الجزية تؤخذ من الرجال المقاتلين، لأنه تعالى قال : " قاتلوا الذين " إلى قوله " : حتى يعطوا الجزية " فيقتضي ذلك وجوبها على من يقاتل. ويدل على أنه ليس على العبد وإن كان مقاتلاً، لأنه لا مال له، ولأنه تعالى قال: " حتى يعطوا". ولا يقال لمن لا يملك حتى يعطي .

وهذا إجماع من العلماء على أن الجزية إنما توضع على جماجم الرجال الأحرار البالغين، وهم الذين يقاتلون دون النساء والذرية والعبيد والمجانين المغلوبين على عقولهم والشيخ الفاني . واختلف في الرهبان، فروى ابن وهب عن مالك أنها لا تؤخذ منهم. قال مطرف وابن الماجشون: هذا إذا لم يترهب بعد فرضها فإن فرضت ثم ترهب لم يسقطها ترهبه.<sup>[2]</sup>

### ما هو مقدار الجزية ؟

قال الزحيلي : ولم يحدد القرآن مقدارها، فاختلف الفقهاء في تقديرها . فقال الشافعي : هي في السنة دينار على الغني والفقير من الأحرار البالغين لا ينقص منه شيء، لما روى أبو داود وغيره عن معاذ : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعثه إلى اليمن، وأمره أن يأخذ من كل حالم ديناراً في الجزية. قال الشافعي : وهو أي الرسول المبين عن الله تعالى مراده. وإن صولحوا على أكثر من دينار جاز. وتؤخذ في آخر السنة.

<sup>[2]</sup>الجامع لأحكام القرآن (112/8)

<sup>[1]</sup>مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (478/5)

وقال المالكية : إنها أربعة دنانير على أهل الذهب ، وأربعون درهما على أهل الورق (الفضة) ، الغني والفقير سواء، ولو كان مجوسيا، لا يزداد ولا ينقص على ما فرض عمر، لا يؤخذ منهم غيره.

وقال الحنفية: مقدار الجزية اثنا عشر درهما على الفقراء، وأربعة وعشرون درهما على الأوساط ، وأربعون درهما على الأغنياء. وتؤخذ في أول السنة.<sup>[1]</sup>

وقال ابن العثيمين : مقدار الجزية ينظر فيه الإمام للمصلحة ، فإذا رأى الإمام أن من المصلحة أن يكون المال المدفوع في الجزية أكثر، لأن حماية من يدفعها من الذميين تقتضي نفقة كبيرة فله أن يلزم الذميين بجزية أكثر، وقد يكون الحال العكس، فإذا لم يقتض الحال حماية أكبر لهؤلاء الذميين فإن الجزية تكون أقل.

ولهذا ذكر العلماء: أن المرجع في تحديد الجزية إلى اجتهاد الإمام، ويختلف هذا في كل وقت بحسبه<sup>[2]</sup>

إذا قد رأينا أن الجزية ليست شيء يؤخذ عنوة من غير المسلمين بل يفرض على القادر المستطيع فقط ، ويعفى منها الكثير. والجزية تؤخذ من الذمي عوضا عن حمايته لأن أهل الذمة لا يلتحقون بالجيوش الإسلامية .

وقد رأينا أنه في الغالب تقرر الجزية حسب إتفاق بين أهل الذمة والحاكم. وإن لم يكن إتفاق فهي على الأكثر أربعة دنانير من أهل الذهب في السنة.

وفي كل الحالات هي أقل مما يدفعه المسلم من الزكاة في السنة ناهيك عن حماية المسلم للذمي أيضا ، وسأضرب مثال بزكاة الذهب والفضة.

1\_التفسير المنير (10/176)

2\_مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (5/478)

مقدار الزكاة الواجبة في الذهب والفضة ربع العشر: أي في كل عشرين ديناراً من الذهب نصف دينار، وما زاد فبحسابه قل أو كثر، وفي كل مائتي درهم من الفضة خمسة دراهم، وما زاد فبحسابه. لقوله - صلى الله عليه وسلم - في كتاب الصدقة " **وفي الرقعة كل مائتي درهم ربع العشر**"<sup>[1]</sup>. ولحديث "... **وليس عليك شيء يعني في الذهب حتى يكون لك عشرون ديناراً. فإذا كان لك عشرون ديناراً، وحال عليه الحول، ففيها نصف مثقال**"<sup>[2]</sup>، ولما جاء عن النبي - صلى الله عليه وسلم - من أنه " **كان يأخذ من كل عشرين مثقالاً نصف مثقال**"<sup>[3]</sup> / إنتهى -<sup>[4]</sup>

يدفع المسلم في الزكاة عن كل عشرين دينار ذهب نصف دينار. أما الجزية فالغنى الذي يدفع أربع دنانير فقط على كل ماله.

فإذا وجدنا أن مسلم يمتلك مائة دينار ذهب ومر عليها حول كامل سيدفع منها في الزكاة خمسة دنانير ذهب ويلتحق بالجيش ويحمى الذي. أما الذي معه مائة دينار ذهب أو أكثر يدفع أربعة دنانير في العام فقط. إذا الأمر لا يتعلق بسلب أو نهب أموال أهل الذمة كما يدعى الحاقدون. فإن كان هو سبيل للذي يقولون لقتلهم المسلمين من البداية وأخذوا أموالهم دون الحاجة لأخذ على الأكثر أربعة دنانير فقط في السنة من الغنى وإعفاء غير القادر منهم، و نجد أن كثير من المسلمين يدفعون أكثر من هذا في الزكاة.

قال تعالى: { **إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين** } التوبة 36 .

<sup>21</sup> سنن أبي داود (1573) قال الألباني: صحيح

<sup>1</sup> صحيح البخاري (1454)

<sup>4</sup> الفقه الميسر في ضوء الكتاب (1/127)

<sup>3</sup> إرواء الغليل (289/3) قال الألباني: صحيح

غريب أن يعترض البعض على آية كهذه بزعم أن بها دعوة لقتل غير المسلمين ، رغم أن سياق الآية واضح مبين لكل صاحب عقل . بقوله تعالى : { **كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً** } فهنا بيان تحالف المشركين على قتال المسلمين لذا علينا أن نقاتلهم كما يُقاتلوننا .

قال ابن كثير : **وقوله : {وقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً} أي: جميعكم {كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً} أي: جميعهم ، {وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ}** <sup>[1]</sup>

وقال القرطبي : **قال بعض العلماء: كان الغرض بهذه الآية قد توجه على الأعيان ثم نسخ ذلك وجعل فرض كفاية ، قال ابن عطية : وهذا الذي قال لم يعلم قط من شرع النبي صلى الله عليه وسلم أنه ألزم الأمة جميعا النفس، وإنما معنى هذه الآية الحض على قتالهم والتحزب عليهم وجمع الكلمة . ثم قيدها بقول : { **كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً** } فبحسب قتالهم واجتماعهم لنا يكون فرض اجتماعنا لهم . <sup>[2]</sup>**

قال تعالى : { **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ** } التوبة 73 .

هناك بعض الآيات التي يعترض عليها الحاقدون بدون دراسة مسبقة للقضية التي تتحدث عنها الآية فنوضحها لهم .  
لكن في نفس الوقت يوجد آيات يعترضون عليها دون وعى ، ولو تفكر في الآية قليلا قبل أن يعترض عليها لما حاول الاعتراض .

<sup>[2]</sup>الجامع لأحكام القرآن (136/8)

<sup>[1]</sup>تفسير ابن كثير (149/4)



فالأية التي بين يدينا الآن بها أمر من الله - سبحانه وتعالى - إلى نبيه - صلى الله عليه وسلم - بجهاد الكفار والمنافقين والغلظة عليهم.

أما جهاد الكفار فنقول قبل كل شيء ونكرر أننا لا نعتدى على أحد.

قال تعالى: { **وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ** } البقرة 190.

وقد إتضح مما سبق أن الجهاد في الإسلام له غايتان:

**الغاية الأولى:** الدفاع، وهذا حق تتفق على شرعيته جميع الأمم والمذاهب والأديان، فلا مجال للمناقشة فيه.

**الغاية الثانية:** القتال لتأمين الدعوة وللقيام بواجب تبليغ الحق الرباني إلى الناس كافة، وإقامة العدل في الأرض، والقتال للقيام بواجب التبليغ من الأمور التي اتفقت عليها الشرائع الربانية الثلاث، المنزلة على موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام.

والغاية الثانية قلنا قبلنا أن اللجوء إليها يكون إضطرارياً في حالة عدم سماح حكومات البلاد للدعاة المسلمين بتعريف أهل هذه البلاد بالإسلام، فيكون واجب الحرب معهم لتمكين الدعوة من الوصول إلى كل إنسان لم يسمع بها، وقد وضحنا أن القتال يكون مع المحارب فقط فلا قتال مع المدنيين.

أما جهاد المنافقين والغلظة عليهم فنقرأ ما قاله المفسرين في ذلك، حتى نزيل من رأس المعارض ظنه أن جهاد المنافق قتله.

قال القرطبي: قوله تعالى: { **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفْرَانَ** } الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وتدخل فيه أمته من بعده. قيل: المراد جاهد بالمؤمنين الكفار. وقال ابن عباس: أمر بالجهاد مع الكفار بالسيف، ومع المنافقين باللسان وشدة الزجر والتغليظ. وروي عن ابن مسعود أنه قال: جاهد المنافقين بيديك، فإن لم تستطع فبلسانك، فإن لم تستطع فاكفهر في وجوههم.<sup>1</sup>

11 الجامع لأحكام القرآن (204/8)

هذا هو جهاد المنافقين ، وقد ورد أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نهى عن قتل رأس النفاق عبد الله بن أبي بن سلول.

عن جابر بن عبد الله قال : كنا في غزاة - قال سفيان مرة : في جيش - فكسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار ، فقال الأنصاري : يا للأنصار ، وقال المهاجري : يا للمهاجرين ، فسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " ما بال دعوى جاهلية . قالوا : يا رسول الله ، كسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار ، فقال : "دعوها فإنها منتنة" . فسمع بذلك عبد الله بن أبي فقال : فعلوها ، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ، فقام عمر فقال : يا رسول الله ، دعني أضرب عنق هذا المنافق ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : دعه ، لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه . وكانت الأنصار أكثر من المهاجرين حين قدموا المدينة ، ثم إن المهاجرين كثروا بعد .<sup>1</sup>

فكيف يأتي بعد ذلك أحدهم ليدعى أن جهاد المنافق قتله !؟

1\_ صحيح البخارى (4905)

## آيات الجهاد فى سورة الأحزاب

قال تعالى : { وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوُّهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا } الأحزاب 26-27.

هكذا يضع المعترض الآيات وكان الأمر إذ فجأة هجم المسلمون على أهل الكتاب ليأخذوا ما فى أيديهم.  
لكن إن كان يريد بالفعل أن يعلم الموقف تماما لسأل نفسه أولا عن قول الله تعالى : { وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ } ليسأل نفسه ظاهروا من ؟ ومتى ظاهروهم ؟ وما الذى أدى إليه ذلك ؟

من هم أهل الكتاب فى هذه الآية ؟

هم بنو قريظة ، وكان لهم عهد مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

من ظاهروا ؟

ظاهروا الأحزاب التى جاءت لقتال المسلمين ، فبذلك نقضوا العهد مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

نرجع للقصة من بدايتها وهى فى غزوة الخندق ، أو الأحزاب.

قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا } الأحزاب 10

قال ابن كثير : يقول تعالى مخبرا عن نعمته وفضله وإحسانه إلى عباده المؤمنين، فى صرفة أعداءهم وهزمه إياهم عام تألبوا عليهم وتحزبوا وذلك عام الخندق، وذلك فى شوال سنة خمس من الهجرة على الصحيح المشهور، وقال موسى بن عقبة وغيره كانت فى سنة أربع.

وكان سبب قدوم الأحزاب أن نفرا من أشرف يهود بني النضير الذين كانوا قد أجلاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى خيبر منهم: سلام بن أبي

الحقّيق، وسلام بن مشنكّم، وكنانة بن الربيع، خرجوا إلى مكة واجتمعوا بأشراف قريش، وألبوهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ووعدهم من أنفسهم النصر والإعانة. فأجابوهم إلى ذلك، ثم خرجوا إلى غطفان فدعوهم فاستجابوا لهم أيضا. وخرجت قريش في أحابيشها، ومن تابعها، وقائدهم أبو سفيان صخر بن حرب، وعلى غطفان عيينة بن حصن بن بدر، والجميع قريب من عشرة آلاف، فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمسيرهم أمر المسلمين بحفر الخندق حول المدينة مما يلي الشرق، وذلك بإشارة سلمان الفارسي، فعمل المسلمون فيه واجتهدوا، ونقل معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب وحفر، وكان في حفره ذلك آيات بينات ودلائل واضحات.

وجاء المشركون فنزلوا شرقي المدينة قريبا من أحد، ونزلت طائفة منهم في أعالي أرض المدينة، كما قال الله تعالى: { إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ } ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن معه من المسلمين، وهم نحو ثلاثة آلاف، وقيل: سبعمائة، وأسندوا ظهورهم إلى سلع ووجههم إلى نحو العدو، والخندق حفير ليس فيه ماء بينهم وبينهم يحجب الرجالة والخيالة أن تصل إليهم، وجعل النساء والذراري في أطام المدينة، وكانت بنو قريظة - وهم طائفة من اليهود - لهم حصن شرقي المدينة، ولهم عهد من النبي صلى الله عليه وسلم وذمة، وهم قريب من ثمانمائة مقاتل

فذهب إليهم خبيّ بن أخطب التضري اليهودي، فلم يزل بهم حتى نقضوا العهد، ومالؤوا الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعظم الخطب واشتد الأمر، وضاق الحال، كما قال الله تعالى: { هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا }

ومكثوا محاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه قريبا من شهر، إلا أنهم لا يصلون إليهم، ولم يقع بينهم قتال، إلا أن عمرو بن عبد ود العامري - وكان من الفرسان الشجعان المشهورين في الجاهلية - ركب ومعه فوارس فاقتحموا الخندق، وخلصوا إلى ناحية المسلمين، فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم خيل المسلمين إليه، فلم يبرز إليه أحد، فأمر عليا فخرج إليه، فتجاولا ساعة، ثم قتله علي، رضي الله عنه، فكان علامة على النصر. ثم أرسل الله عز وجل، على الأحزاب ريحا شديدة الهبوب قوية، حتى لم تبق لهم خيمة ولا شيء ولا توقد لهم نار، ولا يقرب لهم قرار حتى ارتحلوا خائبين خاسرين،

**كما قال الله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا }<sup>1</sup>**

فكان هذا جزاء خيانتهم للرسول - صلى الله عليه وسلم - ونقضهم للعهد معه و تعريض المسلمين للخطر.

قال تعالى: { وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَّاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوُّهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا }  
قال ابن كثير: قد تقدم أن بني قريظة لما قدمت جنود الأحزاب، ونزلوا على المدينة، نقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهد، وكان ذلك بسفارة

خبي بن أخطب التضري - لعنه الله - دخل حصنهم، ولم يزل بسيدهم كعب بن أسد حتى نقض العهد، وقال له فيما قال: ويحك، قد جئتك بعز الدهر، أتيتك بقريش وأحابيشها، وغطفان وأتباعها، ولا يزالون هاهنا حتى يستأصلوا محمدا وأصحابه. فقال له كعب: بل والله أتيتني بذئ الدهر. ويحك يا حبي، إنك مشؤوم، فدعنا منك. فلم يزل يفتل في الذروة والغارب حتى أجابه، واشترط له خبي إن ذهب الأحزاب، ولم يكن من أمرهم شيء، أن يدخل معهم في الحصن، فيكون له أسوتهم. فلما نقضت قريظة، وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، ساءه،  
وشق عليه وعلى المسلمين جدا.<sup>2</sup>

فجاء جبريل إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليخرج إلى بني قريظة لقتالهم نظرا لنقضهم العهد.

<sup>2</sup> تفسير ابن كثير (397/6)

<sup>1</sup> تفسير ابن كثير (384/6)

عن عائشة قالت : أصيب سعد يوم الخندق ، رماه رجل من قريش ، يقال له حبان بن العرقة ، رماه في الأكل ، فضرب النبي صلى الله عليه وسلم خيمة في المسجد ليعوده من قريب ، فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق وضع السلاح واغتسل ، فأتاه جبريل عليه السلام وهو ينفذ رأسه من الغبار ، فقال : وضعت السلاح ، والله ما وضعت ، اخرج إليهم . قال النبي صلى الله عليه وسلم : فأين . فأشار إلى بني قريظة ، فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلوا على حكمه ، فرد الحكم إلى سعد ، قال : فإني أحكم فيهم : أن تقتل المقاتلة ، وأن تسبي النساء والذرية ، وأن تقسم أموالهم<sup>[1]</sup>

---

<sup>1</sup> صحيح البخاري (4122)

## آيات الجهاد في سورة محمد

قال تعالى : { فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبِ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَتْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا  
الوُثَاقَ فَمَا مَثَا بَعْدُ وَإِنَّمَا فِدَاءٌ حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ  
مَتَهُمْ وَلَكِن لَّيَبْلُو بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ  
أَعْمَالَهُمْ } محمد 4 .

يضع البعض هذه الآية ملتفتا إلى جملة صغيرة في بدايتها ولا يكمل الآية إلى  
نهايتها ، فينظر إلى قوله تعالى : { فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبِ الرِّقَابِ } فيخيل  
في رأسه أن هذا دعوة إلى قطع رقاب كل كافر يمر بالطريق يجده مسلماً .  
لكنه إن أكمل الآية لعلم أن هذه حالة حرب بقوله تعالى : { حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ  
أَوْزَارَهَا } ، إذا الآية ليست دعوة إلى قطع رقبة كل كافر يجده مسلم .

قال ابن كثير : يقول تعالى مرشدا للمؤمنين إلى ما يعتمدونه في حروبهم مع  
المشركين : { فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبِ الرِّقَابِ } أي: إذا واجهتموهم  
فاحصدوهم حصدا بالسيوف، { حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَتْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا } أي: أهلكتموهم قتلا  
{ فَشُدُّوا } وثاق الأسارى الذين تأسروهم، ثم أنتم بعد انقضاء الحرب وانفصال  
المعركة مخيرون في أمرهم، إن شئتم مننتم عليهم فأطلقتهم أسارهم مجانا، وإن  
شئتم فاديتموهم بمال تأخذه منهم وتشاطروهم عليه<sup>1</sup>

وقد تقدم بيان أسباب الحروب مع المشركين من الدفاع عن الدولة ، والحرب للقيام  
بواجب التبليغ مع الأمم التي لا يسمح ملوكها بحرية الدعاة المسلمين في البلاد  
لتعريف الناس بالدعوة الإسلامية .

1 تفسير ابن كثير (307/7)

قال تعالى : { فلما تهتوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم  
أعداءكم } محمد 35.

إعتراض غريب جداً على مثل هذه الآية!  
إن أحوال المسلم كلها مستمدة من الشريعة ، فهذا القرآن هو دستور حياتنا ، وقد  
كانت هذه دولة إسلامية ودستورها هو القرآن الكريم. فهنا يضع الله قاعدة  
للمسلمين في الحروب وهي إن كنا نحن الأعلى الظاهرون على عدونا فما  
حاجتنا إلى الدعوة إلى المهادنة؟ خاصة أن الحرب في الإسلام لا تكون إعتداء ، بل  
رد إعتداء. أبعد إعتدائهم علينا وعلونا عليهم في الحرب ندعوهم إلى السلم؟  
سيعيدوا علينا الكرة مرة أخرى.  
وهذا واضح في معظم الأمم فمن كان هو الأعلى في الحرب لا يدعوا إلى السلم ،  
بل يستمر في الحرب لكي يأمن مكر عدوه وينتهي منه ، أما الأقل في الحرب و  
الذي تبشر النتائج الأولية بهزيمته فهو الذي يطلب الهدنة والمهادنة.

قال ابن كثير : ثم قال لعباده المؤمنين : { فلا تهتوا } أي: لا تضعفوا عن الأعداء، {  
وتدعوا إلى السلم } أي: المهادنة والمسالمة، ووضع القتال بينكم وبين الكفار في  
حال قوتكم وكثرة عددكم وعددكم؛ ولهذا قال : { فلا تهتوا وتدعوا إلى  
السلم وأنتم الأعلون } أي: في حال علوكم على عدوكم، فأما إذا كان الكفار  
فيهم قوة وكثرة بالنسبة إلى جميع المسلمين، ورأى الإمام في المعاهدة والمهادنة  
مصلحة، فله أن يفعل ذلك، كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صده  
كفار قريش عن مكة، ودعوه إلى الصلح ووضع الحرب بينهم وبينه عشر سنين،  
فأجابهم إلى ذلك<sup>1</sup>.

1- تفسير ابن كثير (323/7)



## آيات الجهاد في سورة الحشر

قال تعالى : {هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ وَلَوْ أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} الحشر 2-4 .

### ما سبب نزول الآية؟

فسبب النزول مبين لسبب جهاد هؤلاء من أهل الكتاب وهم بنو النضير. فعن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس : سورة الحشر، قال : قل سورة النضير . تابعه هشيم عن أبي بشر .<sup>[1]</sup>

### فماذا فعل بنو النضير لتنزل فيهم هذه السور ول يتم إجلائهم؟

قال رجل من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم : -

كتب كفار قريش إلى عبد الله بن أبي وغيره ممن يعبد الأوثان قبل بدر يهددونهم ببايوائهم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ويتوعدونهم أن يغزوهم بجميع العرب ، فهم ابن أبي ومن معه بقتال المسلمين . فأتاهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ما كادكم أحد بمثل ما كادتكم قريش ، يريدون أن تلقوا بأسكم بينكم ، فلما سمعوا ذلك عرفوا الحق فتفرقوا . فلما كانت وقعة بدر كتبت كفار قريش بعدها إلى اليهود : إنكم أهل الحق والحقة والحصون يتهددونهم ، فأجمع بنو النضير على الغدر ، فأرسلوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم : اخرج إلينا في ثلاثة من أصحابك ويلقاك ثلاثة من علمائنا ، فإن آمنوا بك اتبعناك . ففعل . فاشتمل اليهود الثلاثة على الخناجر فأرسلت امرأة من بني النضير إلى أخ لها من الأنصار مسلم تخبره بأمر بني النضير ، فأخبر أخوها النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يصل إليهم ، فرجع ، وصبحهم بالكتائب فحصرهم يومه ، ثم غدا على بني قريظة فحاصرهم فعاهدوه ، فانصرف عنهم إلى بني النضير ، فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء وعلى أن لهم ما أقلت الإبل إلا السلاح ، فاحتملوا حتى أبواب بيوتهم ،

1: صحيح البخاري (4029)

فكانوا يخربون بيوتهم بأيديهم فيهدمونها ، ويحملن ما يوافقهم من خشبها ،  
وكان جلاؤهم ذلك أول حشر الناس إلى الشام .<sup>[1]</sup>

كما رأينا ، هؤلاء اليهود تم إجلائهم ، وذلك لغدرهم وهمهم بقتل النبي - صلى  
الله عليه وسلم - بالخناجر ، فكان هذا جزاء على فعلتهم ، فهم قوم لا أمان لهم .

مكتبة كلمة سواء الدعوية

---

1. فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر (385/7) ، قال : إسناده صحيح .

### الحديث عن آية السيف

يقول بعض المفسرين أن هناك آية في القرآن تسمى آية السيف وأن هذه الآية نسخت كل آيات التسامح الموجودة في القرآن. سيكون الحديث عن آية السيف مقتضياً جداً.

#### لماذا؟

لإختلاف المفسرين في تعيين ما أسموه بآية السيف ، و التسمية نفسها من الغرابة بمكان لأن القرآن الكريم بكامله لم يرد فيه كلمة السيف ولو مرة واحدة. أننا لم نجد أى آية من آيات القرآن الكريم التى تتحدث عن الجهاد - كما سبق - تدعوا إلى قتل كل من هم على خلاف الإسلام.

بل وجدنا أن الجهاد في الإسلام نوعان : جهاد الدفع وهو لدفع العدوان عن المسلمين . و جهاد الطلب وهو لأجل تبليغ الشريعة إلى الناس لا إجبارهم عليها و نلجأ إليه مضطرين في حالة ملوك البلاد الذين لا يسمحون للدعاة المسلمين بحرية تعريف الناس بالدعوة في بلادهم.

و الحديث عنها أيضاً مقتضياً لأن النسخ عموماً لا بد من العودة فيه إلى قول للرسول - صلى الله عليه وسلم - أو قول لصحابي . قال ابن الحصار: إنما يرجع في النسخ إلى نقل صريح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو عن صحابي يقول: آية كذا نسخت كذا، قال: وقد يحكم به عند وجود التعارض المقطوع به من علم التاريخ، ليعرف المتقدم والمتأخر. قال: ولا يعتمد في النسخ قول عوام المفسرين، بل ولا اجتهاد المجتهدين من غير نقل صحيح، ولا معارضة بينة<sup>1</sup>

و في كلتا الحالتين لا بد من البحث عن صحة الأثر الوارد في ذلك. والمعروف في هذه الآية أن المفسرين لم يذكروا حديث صريح عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول بأن هذه الآية اسمها آية السيف أو أنها نسخت آيات التسامح في القرآن ، فهذا لم يرد لا عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - ولا عن أحد الصحابة. لذلك فإن هذا الإدعاء باطل لا أساس له من الصحة. هذا بخلاف أنه كما قلت لم نجد آية واحدة في آيات الجهاد تدعوا لقتل كل المشركين المخالفين للإسلام ، فما الداعي لتسمية هذه الآية - التى لم يستقروا على تعيينها - بآية السيف؟!

1. مختصر الإتيقان في علوم القرآن للسيوطي ص 141

قال محمد رشيد بن علي رضا : قال تعالى : { فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم } وهذه الآية هي التي يسمونها آية السيف ، واعتمد بعضهم أن آية السيف هي قوله الآتي : { وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة } وقال بعضهم : إنها تطلق على كل منهما أو على كليهما ، ويكثر في كلام الذين كثروا الآيات المنسوخة أن آية كذا وآية كذا من آيات العفو والصفح والإعراض عن المشركين والجاهلين والمسالمة وحسن المعاملة منسوخة بآية السيف .

والصواب أن ما ذكره من هذا القبيل ليس من النسخ الأصولي في شيء . قال السيوطي في أقسام النسخ من الإتيان ما نصه : ( الثالث ) ما أمر به لسبب ثم يزول السبب ، كالأمريين الضعف والقلّة بالصبر والصفح . ثم نسخ بإيجاب القتال ، وهذا في الحقيقة ليس نسخاً ، بل هو من قسم المنسأ كما قال تعالى ( أو ننسأها ) فالمنسأ هو الأمر بالقتال إلى أن يقوى المسلمون ، وفي حال الضعف يكون الحكم وجوب

الصبر على الأذى ، وبهذا يضعف ما لهج به كثيرون من أن الآية في ذلك منسوخة بآية السيف ، وليس كذلك ، بل هي من المنسأ بمعنى أن كل أمرود يجب امتثاله في وقت ما لعلته تقتضي ذلك الحكم ، بل ينتقل بانتقال تلك العلة إلى حكم آخر ، وليس بنسخ ، إنما النسخ الإزالة للحكم حتى لا يجوز امتثاله .

وقال مكّي : ذكر جماعة أن ما ورد من الخطاب مشعرا بالتوقيت والغاية مثل قوله في البقرة : { فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره } محكم غير منسوخ ؛ لأنه مؤجل بأجل ، والمؤجل بأجل لا نسخ فيه <sup>[1]</sup>

ثم أننا أيضاً لا نسلم للسيوطي بما قاله في نقطة أنه عندما يقوى المسلمون يعودون لمحاربة كل من هم خلاف الإسلام ، فهذا لا دليل عليه ، إلا إذا لم يتمكن الدعاة المسلمون في البلاد الأخرى من القيام بواجب التبليغ بسبب حكام هذه البلاد ، ففي هذه الحالة واجب علينا جهاد الطلب لتبليغ الشريعة لا لإجبار الآخرين عليها ، كما سبق بيانه .

1- تفسير المنار (10/150)

## من آيات التسامح في القرآن الكريم

قال تعالى : { لَّا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَهَا انفِصَامٌ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } البقرة .256

قال تعالى: { ادْع إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُنْتَهِدِينَ وَإِن عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عَاقَبْتُمْ بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ } النحل 125-126 .

قال تعالى : { لَّا يَتَّهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا يَتَّهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تُولَّوهُمْ وَمَنْ يَتُولَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ } المتحنة 8-9 .

قال تعالى : { وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنُحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ } العنكبوت 46 .

قال تعالى : { وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } الأنعام 108 .

قال تعالى : { وَإِن أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ } التوبة 6 .

قال تعالى : { فَإِن حَاجُوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِن أَسْلَمْتُمْ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ } آل عمران 20 .

قال تعالى : { وَإِنْ مَا تُرِيئِكَ بَعْضَ الَّذِي نُعِدُّهُمْ أَوْ نُتَوَقِّئُكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ } الرعد 40 .

قال تعالى : { فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ } النحل 82 .

قال تعالى : { لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ } التوبة 128-129 .

قال تعالى : { خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ } الأعراف 199 .

قال تعالى : { فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَتَأْتِ لَهُمْ وَالْوَكْتُتَ فَمَا عَلِيظُ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ } آل عمران 159 .

## الكتاب المقدس : محبة أم إرهاب ووحشية ؟

يو 3 : 16

لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية.

هل حقا الله محبة في الكتاب المقدس ؟

تعالوا نتعرف على الحقيقة في الأسطر القليلة القادمة .

يقول يسوع:

مت 5 : 17

لا تظنوا أنني جئت لأنقض التاموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأكمل.

فيسوع في العهد الجديد لم يأت ليهدم العهد القديم ، بل جاء يسير عليه و يكمله فلنرى ماذا قال في العهد القديم ، ثم نتابع إكماله له في العهد الجديد .

صموئيل الثاني 12 : 31

وأخرج الشعب الذي فيها ووضعهم تحت مناشير ونواجر حديد وفؤوس حديد وأمرهم في أتون الأجر، وهكذا صنع بجميع مدن بني عمون. ثم رجع داود وجميع الشعب إلى اورشليم.

أخبار الأيام الأول 20 : 3

وأخرج الشَّعْبَ الَّذِينَ بِهَا وَنَشَرَهُمْ بِمَتَاشِيرٍ وَنَوَاجِرِ حَدِيدٍ وَفَوْوسٍ. وَهَكَذَا صَنَعَ دَاوُدُ لِكُلِّ مَدَنِ بَنِي عَمُّونَ. ثُمَّ رَجَعَ دَاوُدُ وَكُلُّ الشَّعْبِ إِلَى أُورُشَلِيمَ.

هذه هي الوحشية حقا ، هل هذه تعاليم إلهية ؟ !

قد رأينا تعاليم الإسلام السمحة ، كيف أنه يحارب المحاربين فقط ، أما المدنيين فلا ، ولا شيخ ولا طفل ولا امرأة ، والجهاد يكون له أسباب : إما دفع عدوان ، أو تبليغ من لم يسمع بالدعوة بها لوجود حائل - حكومات البلاد - التي تحول دون ذلك.

لكن كيف الحال في الكتاب المقدس ؟ من يقتل ؟ وما غرض القتل ؟

صموئيل الأول 15 : 3

فَالآنِ اذْهَبْ وَاضْرِبْ عَمَالِيقَ وَحَرِّمُوا كُلَّ مَا لَهُ وَلَا تَعْفَ عَنْهُمْ بَلْ اقْتُلْ رِجَالًا وَامْرَأَةً. طِفْلاً وَرَضِيعاً. بَقِراً وَغَنَماً. جَمِلاً وَحَمَاراً.

حز 9 : 6

الشُّيُوخَ وَالشَّبَابَ وَالْعِذْرَاءَ وَالطِّفْلَ وَالنِّسَاءَ، **اقْتُلُوا لِلْهَلَاكِ**. وَلَا تَقْرَبُوا مِنْ إِنْسَانٍ عَلَيْهِ السَّمَةُ، وَابْتَدِئُوا مِنْ مَقْدَسِي. فَابْتَدِئُوا بِالرِّجَالِ الشُّيُوخِ الَّذِينَ أَمَامَ الْبَيْتِ.

الجميع يقتل في الكتاب المقدس ، محارب وغير محارب ، الأطفال والشيوخ والشباب والجميع حتى الرضع !! ، والقتل غرضه الهلاك ليس إلا ، أليست هذه هي الوحشية بعينها ؟

من أين تعلم اليهود والنصارى في الحروب بقربطون الحوامل ؟ وقتل الأطفال ؟



هوشع 13 : 16

تجازى السامرة لأنها قد تمردت على إلهها . بالسيف يسقطون . تحطم أطفالهم ،  
والحوامل تشق .

سيقول أصحاب هذا الكتاب أن السبب هو تمرد السامرية على إلهها !

و نحن بدورنا نسأل : ما ذنب الأطفال الذين لا يعقلون شيئاً فى الدنيا بعد ؟ ما  
ذنب الطفل الذى لم يولد بعد ؟

هذه هى التعاليم التى يطبقها أصحاب هذا الكتاب مع المسلمين الآن فى الدول  
الإسلامية المحتلة ، فلا نجد قتل للأطفال وبقر لبطون الحوامل إلا من أصحاب هذا  
الكتاب .

هل سلمت الحيوانات من وحشية الكتاب المسمى مقدس ؟

يشوع 6 : 12

وحزموا كل ما فى المدينة من رجل وامرأة ، من طفل وشيخ ، حتى البقر والعنم  
والحمير بحد السيف .

من أين تعلم اليهود والنصارى تدمير كل ما فى البلاد التى يحتلونها قهراً وإهلاك  
زرعها ؟

إرميا 4 : 45

هكذا تقول له. هكذا قال الرب. هانذا اهدم ما بنيته واقتلع ما غرسته وكل هذه الارض.

هدم المنازل والبيوت والدور وتخریب كل شيء وحتى الزروع تقلع من الأرض ، همجية ووحشية لا مثيل لها.

التطهير العرقي ، من أين تعلمه اليهود والنصارى ؟

يشوع 11 : 11

وضربوا كل نفس بها بحد السيف. حزموهم. ولم تبق نسمة. واحرق حاصور بالنار.

يشوع 11 : 14

وكل غنيمة تلك المدن والبهائم نهبا بنو اسرائيل لانفسهم. واما الرجال فضربوهم جميعا بحد السيف حتى ابادوهم. لم يبقوا نسمة.

هذا هو التطهير العرقي ، وهذه هي الهمجية .

معبود الكتاب المقدس يجب مناظر القتلى.

حز 9 : 7

وقال لهم نجسوا البيت واملاؤا الدور قتلى. اخرجوا. فخرجوا وقتلوا في المدينة.

معبود الكتاب المقدس يأمر بالتطهير العرقي والإبادة الجماعية ، أليس هذا ما  
ينفذه اليهود والنصارى الآن ؟

يشوع 11 : 20

لانه كان من قبل الرب ان يشدد قلوبهم حتى يلاقوا اسرائيل للمحاربة فيحزموا  
فلا تكون عليهم رافة بل يبادوا كما أمر الرب موسى .

من أين تعلم اليهود والنصارى الإعتداء على حرمت البلاد التي يحتلونها و  
إغتصاب نساءها كما فعل الطليان في ليبيا والأمريكان في العراق وغيرها ؟

الإجابة دائما في الكتاب المقدس.

إشعيا 13 : 15-18

كل من وجد يطعن وكل من انحاش يسقط بالسيف. **وتحطم اطفالهم امام**  
**عيونهم وتنهب بيوتهم وتفضح نساءهم** هانذا اهيح عليهم الماديين الذين لا  
يعتدون بالفضة ولا يسرون بالذهب . فتحطم القسي الفتيان ولا يرحمون

ثمرة البطن. لا تشفق عيونهم على الاولاد .

هل هذه أخلاق حروب ؟

- قتل الأطفال

- نهب الثروات

- إغتصاب النساء

إنها جرائم حرب في الكتاب المدعو مقدس.

من يختبأ من من؟ ومن يحاول الفتك بمن؟

إرميا 48 : 10

ملعون من يعمل عمل الرب برخاء و ملعون من يمنع سيفه عن الدم .

يجدر بنا الآن نحن المسلمين طلب الحماية من الإرهاب النصراني واليهودي ،  
فكتابه يأمره أن يحمل سيفًا لا يمنع عنه الدم ، هذا هو الإرهاب الفعلى.

من أين تعلم النصراني واليهود الحصار الإقتصادي فى الحروب لتجويع الشعوب و  
القتل البطيء؟

الإجابة دائما فى الكتاب المقدس.

إرميا 11 : 22

لذلك هكذا قال رب الجنود.هاأنذا اعاقبهم.بموت الشبان بالسيف ويموت بنوهم  
وبناتهم بالجوع .

هذه هى تعاليم الإرهاب الذى يطبق الآن حرفيا على أرض الواقع ، القائمة طويلة  
جدا لكن لنكتفى بهذا القدر ولنرى موقف يسوع فى العهد الجديد.

هل تستطيع أن ترفض يسوع؟ هل هناك حرية دينية فى النصرانية؟

لو 19 : 27

أما أعدائي ، أولئك الذين لم يريدوا أن أملك عليهم ، فأتوا بهم إلى هنا واذبحوهم  
قدامي.

هذا هو يسوع المحبة! لا حرية إختيار ولا حرية عقيدة ، بل جعل من لا يريده عليه ملكاً عدواً له وأمر بذبحه.

من يأمر بإشعال الحروب ؟

مت 10 : 34

لا تظنوا أنني جئت لألقي سلاماً على الأرض. ما جئت لألقي سلاماً بل سيفاً.

جاء ليلقى بالحروب على الأرض ! هل هذه هي المحبة ؟

هذه كانت إقتطافاً سريعة موجزة وإلا فالكتاب المدعو مقدس ملئ بالدعوة إلى الإرهاب والدمار وسفك الدماء ، لكن يطول المقام فيها.

هذا ليعلم الجميع أيهما تعاليم الله ، ليعلم الجميع الفرق بين التسامح في الإسلام والإرهاب في الكتاب المدعو مقدس.

تم بحمد الله

## الفهرس

2	تقديم .....
3	شكر .....
4	آيات الجهاد في سورة البقرة .....
8	آيات الجهاد في سورة النساء .....
14	جاء في سورة المائدة .....
16	آيات الجهاد في سورة الأنفال .....
37	آيات الجهاد في سورة التوبة .....
53	الجزية .....
59	آيات الجهاد في سورة الأحزاب .....
63	آيات الجهاد في سورة محمد .....
65	آيات الجهاد في سورة الحشر .....
67	الحديث عن آية السيف .....
69	من آيات التسامح في القرآن الكريم .....
71	الكتاب المقدس : محبة أم إرهاب ووحشية ؟ .....
78	الفهرس .....